معهد السنة
As-Sunnah College

سلسلة خطب معهد السُّنّة - رقم (٣)
النسخة الأولى (١٤٤٣)

سلسلة الخطب المنبرية

إصلاح المجتمع

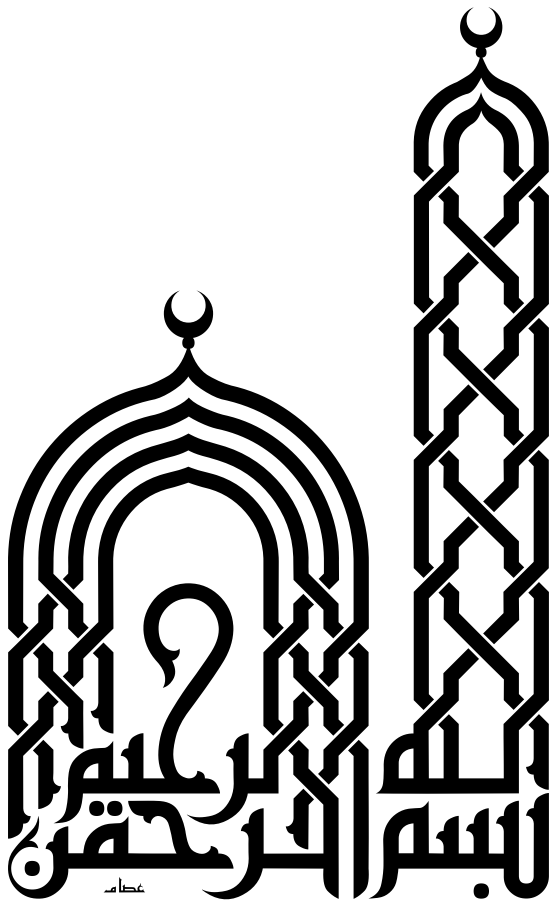
جمعها سالم بن محمد عبد المالك الجزائري

تحت إشراف وتوجيه فضيلة الشيخ

هيثم بن محمد سرحان

حفظه الله تعالىٰ

الإصدار الأول


بسم الله الرحمن الرحيم

١- سِرُّ صَلاحِ المرْأَةِ: العَفَافُ والحَيَاءُ

[الخطبة الأولىٰ]

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يَهْدِه الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هادِيَ له.

وأشهد ألَّا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسوله وصفيُّه وخليله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبِه وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلىٰ يوم الدِّين.

أما بعد؛

❍ **فيا أيها المؤمنون..**

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١﴾ [الحج]، اتقوا الله بامتثال أوامره، والكف عن نواهيه، فإن الفلاحَ كل الفلاح، والسعادة كلّ السعادة في ذلك، ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ۝٥٤﴾ [النور]. وقال تعالىٰ: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٩٧﴾ [النحل].

❍ **أيها المؤمنون..**

إنَّ الله جَلَّجَلَالُهُ امْتَنَّ علىٰ خَلْقِهِ بأن جعل للرجال الأزواجَ من النساء، وللنساء الأزواجَ من الرجال، لتكون المودة والرحمة بين الرجل والمرأة، فإن بها قِوَامَ الحياةِ، وبها سعادة النفس؛ قال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢١﴾ [الروم]، ولا تكون سعادة النفس إلا بالقيام بالشَّريعة، وقد جاءت الشريعة بحفظ الكليات الخمس:

حفظ الدِّين، وأساسه التوحيد والبعد عن الشرك.

وحفظ النَّفس بعدم الزَّجِّ بها فيما يُتلفها.

وحفظ العقل بالبُعد عن الأفكار الهدَّامة والبعد عن المُسْكرات من مخدِّرات وغيرها.

وحفظ المال بالبعد عن الرِّبا والمكاسب المحرمة.

وحفظ العِرض ويكون بالبعد عن الزنىٰ وجنودِه؛ وأساسه فِطرة العفاف والحياء.

لهذا نَجِدُ أنَّ جميعَ الأنبياءِ يَدْعُونَ إلىٰ حفظِ أصول الفطرةِ مع التوحيدِ؛ **لأنَّ التوحيدَ هو أصلُ العباداتِ؛ كما أن الوضوء أصل الصلاة، والفطرةَ أصلُ المُرُوءاتِ.**

وقد كان النبيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو بمَكَّةَ إلىٰ هذا، فقد قال أبو سفيانَ لهِرَقْلَ مَلِكِ الرُّومِ لَمَّا سأله عما يدعو إليه النبيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يأمُرُنا بالصلاةِ والصِّدقِ والعفافِ.

أيها المؤمنون؛

إن فطرة العفافِ والحياء، إنْ تغيَّرت تغيرت معها شرائعُ كثيرةٌ؛ كغَضِّ البَصَرِ، وخَفْضِ صوتِ المرأةِ، وعدمِ خضوعِها به، والحجابِ، وإخفاءِ المفاتِنِ منعًا للإثارةِ، وعدمِ الاستهانةِ بالخُلوةِ، والفصلِ بين الجنسَيْنِ، وتركِ الغَزَلِ، وعدمِ اتخاذِ الأصدقاءِ بين الجنسَيْنِ، وغيرِ ذلك، فهذه وغيرُها تسقُطُ إن سقطَتْ فطرةُ العفافِ والحياء.

وتغييرُ فطرةِ الحياء والعفاف أخطرُ مِن تغييرِ سُنَنِ الكَوْنِ عند الله عَزَّوَجَلَّ، وأشدُّ أَثَرًا علىٰ دِينِ الإنسانِ، وقد كان نبيُّ اللهِ موسىٰ عليه السلام حَيِيًّا سَتِيرًا، وكان يستَحِي أن يبدُوَ مِن جِلْدِه ما يتساهلُ بنو إسرائيلَ في إبدائِه، حتىٰ آذَوْهُ وقالُوا: ما يستتِرُ هذا التستُّرَ إلا مِن عيبٍ بجِلْدِه؛ إمَّا بَرَصٍ، أو غيره، فأرادَ اللهُ أن يبرِّئَه، ولا يبدِّلَ فطرة الحياء التي فيه، فلما أراد أن يغتسِلَ، وضَعَ ثيابَهُ علىٰ حَجَرٍ، فلَمَّا أراد أن يأْخُذَ ثيابَه بعد أن اغتسل، عدا الحَجَرُ، وهرَبَ بثوبِه، وأخذَ موسىٰ عصاهُ، وطلَبَ الحجَرَ، يقولُ: ثَوْبِي حَجَرُ! ثَوْبِي حَجَرُ! حتىٰ خرَجَ لبني إسرائيلَ فرأَوْهُ، وعلموا أنَّه مبرَّأٌ مما قالوا؛ فأنزلَ اللهُ علىٰ نبيِّه محمَّدٍ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مذكِّرًا بتلك الحال؛ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾ [الأحزاب]، والحديثُ

مروي في صحيحي البخاريِّ ومسلمٍ [١] مِن حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

واللهُ تعالىٰ لم يأمُرْ موسىٰ أن يَنْزِعَ ملابِسَه ويخرُجَ للناسِ عُريانًا ليبرِّئَ نفسَه؛ ولكنْ غيَّر سننَ الكونِ وجاذبيَّةَ الأرضِ، وأوجَدَ في الحجَرِ قوَّةً للسيرِ بثيابِه، لِيَتْبَعَها؛ ليكونَ ظهورُ جسَدِه وعوراتِه بلا اختيارٍ منه؛ فلا يكونُ هناكَ أدنىٰ قناعةٍ للنفسِ بإمكانِ اختيارِ مثلِ هذا الفعلِ؛ لأنَّ خَرْقَ فطرةِ الحياء والسِّتر إنْ بدأَ اتَّسَعَ.

ونحن نعيش زمنًا غُزِيت فيه المرأة غزوًا لم يحْصل لها في أيِّ فترة من فترات التَّاريخ السَّابقة، تهدف للإطاحة بعفَّة المرأة، وشرفها، وكمالها، وإيمانها، وأخلاقها.

فاليوم المرأةُ تصِل إليها -وهي في حجرتها في بيتها- قاذوراتُ العَالم كلِّه، وأراذلُ العالم كلِّه، وفساد العالم كلِّه.

تجلس في حجرتها أمام الشَّاشة، أو من خلال الأنترنت، أو التلفون، فيتسلَّل إلىٰ عقلها وفكرها وقلبها كلُّ شرٍّ وكلُّ فساد.

فهي تحتاج لأن تكون صَالحة عفيفة ديِّنةً قانتة لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ فعلينا أن نتعاون علىٰ سدِّ منافذ السُّوء، وطرائق الشّر، ودواخل الفساد.

ذَكَرَ ابنُ قُتَيْبَةَ في كتاب «عُيُونِ الأَخبَار» (٤/ ١٠٧) عَن مُحمدِ بنِ عَليٍّ، قَالَ:

حَجَجْتُ فَرَأيتُ امرَأةً قد حَجَّتْ فرَآهَا رَجُلٌ فجَعلَ يُكَلِّمُهَا ويَتْبَعُهَا كلَّ يَومٍ، فقَالتْ لِزوجِهَا ذَاتَ يَومٍ: إنِّي أُحِبُّ أنْ تَخْرُجَ مَعِي، فلَمَّا أَبْصَرَهَا الرَّجُلُ ومَعَهَا زَوجُهَا وَلَّىٰ هاربا، فأَنْشَدَتْ قَائِلةً:

تَعْــدُو الــذِّئَابُ علَــىٰ مَــنْ لَا كِـلابَ لَــهُ ... وَتَتَّقِــي مَــربَضَ المُستَأْسِــدِ الحَــامِي

فأَينَ الَّذِي يَقِفُ كالأَسدِ يَحمِي عِرضَهُ؛ فإنَّ الأُسُودَ إذَا وُجِدَتْ وَلَّتِ الذِّئَابُ، ونَحنُ يَجِبُ أَنْ نَكونَ أُسُودَ بُيُوتِنَا وحُمَاةَ أَعرَاضِنَا.. كُلٌّ مِنَّا مَسؤولٌ عَن أَهلِهِ وبَيتِهِ.

❍ **أيها المؤمنون،**

إن للمرأة صفاتٌ يحميها العفاف والحياء:

---

(١) البخاري (ح٣٤٠٤)، ومسلم (٣٣٩).

*** منها ما جاء في قول الله تَعَالَىٰ:** ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء:٣٤]، والقنوت هو المداومة علىٰ طاعة الله، والعناية بفرائض الإسلام وواجبات الدِّين، ﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ أي: حافظة لحقِّ وليها في الغيب -والدها في بيته أو زوجها في بيته-، تحفظُه في ماله، وفي عرضه.

*** ومنها ما جاء في** «سنن البيْهقي» (ح١٣٤٧٨/ ٧/ ١٣١) عن أَبِي أُذَيْنَةَ الصَّدَفِيِّ أنّ رسول الله صَلَّٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**خَيْرُ نِسَائِكُمُ الْوَدُودُ الْوَلُودُ الْمُوَاتِيَةُ الْمُوَاسِيَةُ، إِذَا اتَّقَيْنَ اللهَ، وَشَرُّ نِسَائِكُمُ الْمُتبَرِّجَاتُ الْمُتَخَيِّلاتُ وَهُنَّ الْمُنَافِقَاتُ لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْهُنَّ إِلا مِثْلُ الْغُرَابِ الأَعْصَمِ**». صححه الألباني.

انظروا إلىٰ هـٰذه الصِّفات:

-قال: «**الْوَدُودُ**» أي: التي تتودد إلىٰ محارمها من أب وأم وزوج وأبناء وإخوة، لا إلىٰ غير المحارم.

- قال: «**الْمُوَاتِيَةُ**» أي: الّتي ليست فظَّة ولا غليظة، في تعاملها.

- **قال:** «**الْمُوَاسِيَةُ**» أي: الّتي تواسي أهلها وتقف إلىٰ جانبهم فلا تخُونهم.

- وبعدها قال: «**إِذَا اتَّقَيْنَ اللهَ**» أي: أنّ هـٰذه الصفات إنَّما تكون نافعة للمرأة إذا كانت تتصف بالعفاف وتتقي الله.

- ثم قال: «**وَشَرُّ نِسَائِكُمُ الْمُتبَرِّجَاتُ**» أي: التي تتبرَّج بزينتها، وتخرج بحليتها، تخرج متأنِّقة متجمِّلة متعطِّرة لتكون شرفًا للشيطان وغرضًا له في إفساد المجتمع.

- قال: «**الْمُتَخَيِّلاتُ**» وهـٰذا من الخُيَلاء، وهو الكِبْر، فهناكَ تلازم بين الخُيلاء والتبرُّج، كما أنه ثمة تلازم بين الحِشْمة والعفة والحياء.

ولهـٰذا وصف صَلَّٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ من كانت كذٰلك بأنها شرُّ النساء فقال: «**وَشَرُّ نِسَائِكُمُ الْمُتبَرِّجَاتُ الْمُتَخَيِّلاتُ وَهُنَّ الْمُنَافِقَاتُ لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْهُنَّ إِلا مِثْلُ الْغُرَابِ الأَعْصَمِ**»، و«**الْغُرَابُ الأَعْصَمُ**» أي: الذي في جناحيه أو قدميه شيءٌ من البياض، وهو من أندر النَّادر.

ونحن نذكر هذه الأمور والحمد لله أنها غيرُ موجودةٍ في هذه القرية؛ لكن من باب معرفة الشر

والحذر منه، كما قال الشاعر:

عَرَفْتُ الشَّرَّ لَا لِلشَّرِّ   لٰكِنْ لِتَوَقِّيهِ
وَمَنْ لَا يَعْرِفِ الشَّرَّ   مِنَ النَّاسِ يَقَعْ فِيهِ

أَلَا - يا عِبادَ اللهِ - فَلْنَتَّقِ اللهَ في أَهْلِينَا وأَولادِنَا ونِسَائِنَا، وَلْنُعِدَّ للسؤالِ بينَ يَدِي اللهِ جَوابًا، نَسأَلُ اللهَ أَنْ يُوفِّقَنَا لِمَا يُحِبُّ وَيرضَىٰ؛ إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلكَ والقَادِرُ عَليه.

واسمعوا قول الله جَلَّوَعَلَا أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ إلىٰ أن قال: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٣١﴾ [النور].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هٰذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم، ولسائر المؤمنين من كلِّ ذنب، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنَّه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله حقَّ حمده، وأشهد ألَّا إلٰـه إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمَّدًا عبدُ الله ورسولُه وصفيُّه وخليلُه، نشهد أنَّه بلّغ الرسالة، وأدَّىٰ الأمانة، ونصح الأمَّة، وجاهد في الله حقَّ الجهاد، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلىٰ يوم الدِّين.

أمّا بعد؛ فيا أيها المؤمنون، إنَّ أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وشرَّ الأمور مُحدثاتها وكلَّ محدثةٍ بدعة وكلَّ بدعة ضلالة.

وعليكم بالجماعة فإنَّ يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزومِ تقوىٰ الله، فإن بالتقوىٰ رِفْعَتَكم وفَخَارَكم عند الله، ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٠٢﴾ [آل عمران].

❍ **عباد الله؛**

إنَّ الله سبحانه قد فطَرَ آدمَ وحواءَ -وهُما أوَّلُ البَشَرِ- علىٰ العفافِ والسترِ، فلمَّا أكَلَا مِن الشجرةِ، وسقطَ عنهما لباسُهما، دعاهم داعي الفطرةِ والطبعِ الذي خُلِقُوا عليه إلىٰ رَدَّةِ فعلٍ؛ طلبًا

للسترِ؛ فأخذَا يَجْمَعانِ الورَقَ ويؤلِّفانِه بعضَه إلىٰ بعضٍ؛ ليسترُ عوراتِهما، مع أنهما زوجان ولا بشر معهم، وفي ذلك قال اللهُ: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ﴾ أي: الشيطان ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ [الأعراف: ٢٢].

والسُّنَّةُ الكونيةُ: أنَّ العفافَ إن نُزِعَ أوَّلُه، تتابَعَ وتساقَطَ، ومنه حجابُ المرأةِ، إنْ سقطَ أوَّلُه، تداعَىٰ إلىٰ آخِرِه، وهذا مشاهَدٌ في كلِّ المجتمعاتِ والشعوبِ، حتىٰ أصبَحَ في كثيرٍ منها عادةً معاكِسةً للفطرةِ الصحيحةِ؛ وظَنُّوا أنَّ صاحبَ الفطرةِ الصحيحةِ شاذٌّ، وهكذا كان قومُ لُوطٍ؛ قالوا في لوطٍ -تهكُّمًا-: ﴿أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ۝٥٦﴾ [النمل] عابُوهم والعيبُ فيهم!

ولهذا فإنَّ أمرَ الصغيرة بالسِّتر لا لأجل ألّا يراها الناس، إنما لِيَنْبُت فيها شيءٌ اسمُه: العفَاف والسِّتر والحياء.

واعلموا -رحمنِي اللهُ وإياكم- أنَّ الله جَلَّجَلَالُهُ أمركم بأمرٍ بدأ فيه بنفسه وثنَّىٰ بملائكته، فقال جَلَّجَلَالُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب].

اللَّهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك علىٰ عبدك ورسولك محمَّد، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارْضَ اللَّهمَّ عن الأربعة الخلفاء، الأئمة الحنفاء، الذين قَضَوا بالحقِّ وبه كانوا يعدلون، وعنّا معهم بعفوك ورحمتِك، يا أرحم الراحمين.

اللَّهُمَّ اسْتُرْ نِساءَنَا ونِساءَ المؤمنينَ، وجَنِّبْهُنَّ التَّبرُّجَ، واكْفِهِنَّ شَرَّ الأَشرارِ وكَيدَ الفجَّارِ.

اللَّهُمَّ زَيِّنْهُنْ بالسَّترِ والعَفافِ، واسْتُرْهُنَّ بلِبَاسِ القُنُوعِ والكَفَافِ.

اللَّهُمَّ مَن أَرادَنَا وأَرَادَ نِساءَنَا بسُوءٍ فأَشْغِلْهُ بنفسِهِ ورُدَّ كَيدَهُ في نَحرِهِ.

اللَّهمَّ أعزَّ الإسلام والمسلمين، واحمِ حَوْزَة الدِّين.

اللَّهمَّ نسألُك صلاحًا في أنفسنا، وصلاحًا في نسائنا، وصلاحًا في أولادنا، وصلاحًا في علمائنا، وصلاحًا في وُلاتنا، أنت أرحم الرَّاحمين، وأجود الأجودين.

اللَّهمَّ إنَّا نسألك أن ترفع عنَّا الرِّبا والزِّنىٰ وأسبابَهُما، وأن تدفع عنَّا الزَّلازل والمحن وسوء الفتن

ما ظهر منها وما بطن، عن بلادنا هـٰذه بخاصَّة، وعن سائر بلاد المسلمين بعامَّة، يا أكرم الأكرمين.

اللّٰهمَّ إنَّا نسألك أن توفِّقنا لتوبةٍ نصوحٍ قبل الممات.

اللّٰهُمَّ أغثنا، اللّٰهُمَّ أغثنا، اللّٰهُمَّ أغثنا برحمتك، سقيا رحمة لا سقيا عذاب، يا أرحمَ الراحمين.

عباد الرَّحمـٰن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النَّحل]، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه علىٰ النِّعم بقلوبكم وألسنتكم وأعمالكم يزدكم. ولَذِكْرُ الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

٢- تنظيم المرور من المصالح المرسلة

[الخطبة الأولىٰ]

لا شكَّ أن شريعة الإسلام شريعة باقيةٌ إلىٰ قيام الساعة، ولهذا فلا شيء من المصالح التي تنفع العباد إلا وفي الشريعة ما يَدُل عليها، ولا شيء من الشُّرور والمفاسد إلا وفي الشريعة ما يدل علىٰ فساده والنُّفور منه.

الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها.

لِهذا نرىٰ أن ما يحدث في حياة الناس من بعد نبينا محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ينقسم إلىٰ قسمين:

قسم: دليلُه موجود في الكتاب والسنَّة بالمنطوق، أو بالمفهوم.

قسم: يحدث في حياة الناس، وليس في الشَّريعة نصٌّ علىٰ حُكمه، فيكون من مسائل الاجتهاد.

والعلماء رَحِمَهُمُٱللَّهُ نظروا في القسم الثاني، فوجدوا أن أصول حل مشاكل الناس موجودةٌ في الكتاب والسنة.

قال تعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وروىٰ يَحْيَىٰ بْنُ أَبِي الْمُطَاعِ، قَالَ: سَمِعْتُ الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ، يَقُولُ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ وَعَظْتَنَا مَوْعِظَةَ مُوَدِّعٍ، فأوْصِنَا، فَقَالَ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**». (١)

فقد حدَثَ في عهد عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أشياءُ مما احتاجتها الدولة، فأقام الدَّواوين، وجعل الحسابات، لتقوم مصالحُ للناس.

---

(١) سنن أبي داود (ح٤٦٠٧)، وجامع الترمذي (ح٢٦٧٦)، وسنن ابن ماجه (ح٤٢).

وفي عهد عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ جمع الناس علىٰ مُصحف واحد، وألغىٰ المصاحف الأخرىٰ؛ لأن الوحي في عهد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ينزل والسور تُرتَّب، والآيات تُضاف في مواضعها بحسَب التنزيل من الرب جَلَّوَعَلَا؛ لهذا لم يُجمعِ الْمُصحفُ في عهد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وتُرك بعد ذلك في عهد أبي بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ثم جُمع في عهد عثمان.

وقولنا: (المُصحف العُثمانيّ) منسوب إلىٰ عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ لأنه هو الذي جمع الناس علىٰ ذلك المصحف، وليس منسوبًا إلىٰ الدولة العُثمانية كما يظنُّه الكثير.

وهكذا في «الأذان الأول في الجُمُعة»: الذي جعله عثمان، والعلماء أقروه علىٰ ذلك وتتابعوا عليه.. وهكذا في عهد التابعين.. وهكذا في عهد أئمة الإسلام.

وهذا الأمر سمَّاه العلماء: بالمصالح المرسلة.

فالقرآنُ والسنةُ مصدرا التشريع عند المسلمين، ويَتَفَرَّعُ عنهما: الإجماع، والقياس، وأقوال الصحابة، والمصالح المرسَلة، إلىٰ غير ذلك من الأصول.

أيها المؤمنون،

مما يجب علىٰ المؤمنين بعامة إذا علِموا ما حَكم به العلماء أو أفتَوا به أن يمتثلوا لهذه الفتاوىٰ تعبُّدًا وطاعة لله جَلَّوَعَلَا، ولرعاية مصالح العباد.

ولنأخذ مثلًا علىٰ ذلك: ما جاء في هذا الزمن من كثرة السيارات، وضرورة تنظيم المرور، ووضعِ أحكامٍ لذلك، كالإشارات، وتحديد السُّرعة، وأشياءَ تعلمونها، فإن رعاية ذلك داخل في الأصول الشَّرعية التي دل عليها القرآن والسنة، وداخل أيضا ضمن المصالح المرسلة.

ومن أدلة ذلك أن الله جَلَّوَعَلَا حرَّم علىٰ العباد أن يُلقوا بأنفسِهم إلىٰ التَّهلكة، فقال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥].

وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء].

ومن سنَّة المصطفىٰ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قوله في حَجَّة الوداع في الخطبة التي خطَب فيها بمائة ألفٍ

من الصحابة: «**إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ**». (١)

فلهذا من المطلوب شرعًا عدمُ التَّهاوُنِ بنظام المرور لما فيه من مصالحَ للناس وحفظٍ لأموالهم، فإن رعاية ذلك رعايةٌ لأصولٍ شرعية؛ لأن أصوله موجودة في الشريعة.

وإلا فانظر إلىٰ فعل كثير من الناس لما تهاونوا فيما ينبغي عليهم من رعاية تلك الأمور المنظِّمة للمرور، الداخلة في المصالح المرسَلة المعتبَرَة شرعًا= أدىٰ إلىٰ مفاسد كثيرة في الأنفس، وفي الأموال، وفي الممتلَكات، بل في نفسية كثير من الناس من جهة خوفهم من الحوادث التي يتسبَّب فيها المتهوِّرون.

❁ إذا تبين ذلك الأصل الشرعي فكيف نرعاه؟

يُرعىٰ من جهة كلِّ واحد منَّا في نفسه بأن يتقرَّب إلىٰ الله جَلَّوَعَلَا بألَّا يُلْقِي بنفسه إلىٰ التَّهْلُكَة، وألا يقتل نفسه وغيره، ولا يؤذيها بأي نوع من الإيذاء، وأن يرعىٰ وسائل الأمان وحِفظ النفس، فإنّ الكليات الخمس التي جاءت الشريعة بحفظها؛ حفظ الدِّين، حفظ النفس، وحفظ المال، وحفظ العقل، وحفظ العرض.

ومما ينبغي مخاطبتُه الآباء: أن لا يتركوا السيارات في أيدي أبنائهم وهم لا يحسنون السياقة ولا آدابها، وأنه لا يجوز سياقتها من غير مؤهِّل، والتأهيل يكون بحيازة رخصة السياقة بطريقة شرعية.

وينبغي علىٰ الجميع أن يُعلِّموا الشباب والناشئة أن التفريط في مثل هذه الأمور يؤدي إلىٰ استنزاف كثير من الأرواح، وإلىٰ إهدار الأموال، وإلىٰ جهد كبير من المستشفيات . . .

كذلك هناك أمر يتعلق بمواقف السيارات، فكثيرون يُوقفون سياراتهم أمام باب بيت من البيوت، أو أمام مدخلٍ من المداخل المهمة أو يغلق شارعا، ويتساهل في ذلك، ولعل مريضًا يريد أن يخرج من البيت ولا يدري كيف السبيل.

---

(١) البخاري (ح٦٧)، ومسلم (ح١٦٧٩) عن أبي بكرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فالواجب إذن أن نرعىٰ الأحكام الشرعية.. أعانني الله وإياكم علىٰ أنفسنا، وأعاننا علىٰ رعاية المصالح ودَرْء المفاسد، وأن نكون في كل ذلك متقرِّبين به إلىٰ ربنا جَلَّوَعَلَا.

فالحسيب والرقيب هو الله عَزَّوَجَلَّ قبل القانون.

واسمعوا قول الله جَلَّوَعَلَا أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

[الخطبة الثانية]

وعليكم بالجماعة فإنَّ يد الله مع الجماعة، وعليكم بلزوم تقوىٰ الله، ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران].

هـٰذا واعلموا أنَّ من أسباب حفظِ الله للنِّعم -والسيَّارات وكلُّ المركوبات من النِّعم-، ومن أسباب حفظ الله للأمن، ومن أسباب إغداق الأرزاق والأموال علىٰ النَّاس -كما وعد الله سبحانه: الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر؛ قال جَلَّوَعَلَا: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾ [الحج].

فاتقوا الله في أنفسكم، واتَّقوا الله في أولادكم، واتَّقوا النساء، فإنَّ أوَّلَ فتنةَ بَنِي إسرائيل كانت في النساء.

وأختم بهذه القصَّة: أنَّ الإمامَ عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُٱللَّهُ كان يأمر الصِّبية الصِّغار إذا حلَّ القَحْطُ وأمسكتِ السماءُ وأجدبتِ الأرضُ أن **يتصدَّقوا ويدعوا** الله بهذا:

آباؤُنا كِبارُ.. قد ظَلموا وجَارُوا.. فارحمنا يا غفَّارُ... لأنَّنا صِغَارُ..

سواءٌ صحَّتِ القصة أم لا فإننا مدعوُّون للتَّفكُّر والاعتبار.. وعلينا جميعًا كبارا وصغارا بالصَّدقة والدُّعاء، ولا تحقِرَنَّ من المعروفِ شيئًا..

٣- بذل السَّلام للعالم

[الخطبة الأولىٰ]

اتَّقوا اللهَ حقَّ التَّقوىٰ، فإن رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ الْجَنَّةَ: تَقْوَىٰ اللهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ**».(١) وأحسنوا فإنَّ اللهَ يحبُّ المُحسنين، وتُوبوا إلىٰ الله جميعًا فإنَّكم لا محالة إليه رَاجعون.

❍ **عباد الله،**

بعث الله محمدًا صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رحمةً للعالمين، فكان داعيًا إلىٰ كل فضيلة وبر، وإلىٰ كل إحسان وخير، فلا أصلح ولا أكمل ولا أتم ولا أنعم من العمل بما جاء به النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد قال فيه الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ [الشورىٰ].

وكانت من أول وصايا النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمسلمين عند دخوله المدينة، ما جاء عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ؛ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ**»، (٢) فمن أسباب دخول الجنة بسلام إفشاء السلام بين الناس..

وبذل السلام للناس من أسباب جمع الإيمان في القلب، فقد قال عمار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كما في «صحيح البخاري» (٣): "**ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الإِيمَانَ: الإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ، وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ، وَالإِنْفَاقُ مِنَ الإِقْتَارِ**"..

وبعض الناس إذا سلّم سلم علىٰ من يعرف، والأصل في إفشاء السلام هو أن تسلم علىٰ من

---

(١) جامع الترمذي (ح٢٠٠٤)، سنن ابن ماجه (ح٤٢٤٦).

(٢) جامع الترمذي (ح٢٤٨٥)، سنن ابن ماجه (ح١٣٣٤).

(٣) كتاب الإيمان، باب إفشاء السلام، تعليقا.

تعرف وعلىٰ من لا تعرف، وهو خير الإسلام.. فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو -كما في «الصحيحين»[(١)]-، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ فقَالَ: «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَىٰ مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**».

وإفشاء السّلام سببٌ لحصول مَحَبَّة الْمُؤْمِنِينَ التي هي مِنَ الْإِيمَانِ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**»؛ [(٢)] فإفشاء السلام سببٌ لنشر المحبَّة بين الناس.

وبذل السلام لا يكون للكبار فقط؛ بل حتىٰ للأولاد والصِّبيان، فقد بوَّب مسلم في صحيحه بقوله: **استحباب السلام علىٰ الصِّبيان**، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**مَرَّ عَلَىٰ غِلْمَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ**» [(٣)] وهو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. والجيل الأول من التابعين وتابعي التابعين كانوا سبَّاقين للاقتداء بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فهذا سَيَّارٌ رَحِمَهُ اللهُ، قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ رَحِمَهُ اللهُ، فَمَرَّ بِصِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَحَدَّثَ ثَابِتٌ أَنَّهُ كَانَ يَمْشِي مَعَ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَمَرَّ بِصِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَحَدَّثَ أَنَسٌ أَنَّهُ كَانَ يَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**فَمَرَّ بِصِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ**». [(٤)]

فما بال أحدنا يمرُّ علىٰ أخيه فكأنما يمر علىٰ عمودٍ كهربائي، فلا يسلِّم عليه..

بل **بذل السلام** يكون حتىٰ للأموات ليس للأحياء فقط، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، كما في جامع الترمذي وحسنه، قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقُبُورِ الْمَدِينَةِ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْقُبُورِ، يَغْفِرُ اللهُ لَنَا وَلَكُمْ، أَنْتُمْ سَلَفُنَا وَنَحْنُ بِالْأَثَرِ**». [(٥)]

---

(١) البخاري (ح١٢)، ومسلم (ح٣٩).

(٢) مسلم (ح٥٤).

(٣) مسلم (ح٢١٦٨).

(٤) مسلم (ح٢١٦٨).

(٥) جامع الترمذي (ح١٠٥٣).

فالسلام يكون للكبار وللصغار وللأموات..

فإفشاء السلام من الأمور التي أمرَنا بها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «**أَمَرَنَا نَبِيُّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُفْشِيَ السَّلَامَ**»[(١)]، وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اعْبُدُوا الرَّحْمَنَ، وَأَفْشُوا السَّلَامَ**».[(٢)]

والسَّلام من الأمور التي حسدتنا عليها اليهود، فعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**مَا حَسَدَتْكُمُ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ، مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَىٰ السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ**»؛[(٣)] أي: إفشاء السلام والتأمين في الصلاة.

أما عن **ردِّ السلام** فهو واجبٌ من الواجبات، وحق من حقوق المسلم علىٰ أخيه المسلم؛ فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -كما في «الصحيحين»[(٤)]-؛ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ الْعَاطِسِ**».

وردّ **السلام** من حقوق الجلوس في الطريق؛ فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ كما في «الصّحيحين»[(٥)] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا: نَتَحَدَّثُ فِيهَا، قَالَ: «**فَأَمَّا إِذَا أَبَيْتُمْ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ**»، قَالُوا: وَمَا حَقُّهُ؟ قَالَ: «**غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَىٰ، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ**».

هذه الحقوق الخمس للطريق.

❍ عباد الله،

واسمعوا قول الله تعالىٰ؛ فإن السلام هو أيضا تحية أهل الجنة: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم

---

(١) سنن ابن ماجه (ح٣٦٩٣).

(٢) سنن ابن ماجه (ح٣٦٩٤).

(٣) سنن ابن ماجه (ح٨٥٦).

(٤) البخاري (ح١٢٤٠)، ومسلم (ح٢١٦٢).

(٥) البخاري (ح٦٢٢٩)، ومسلم (ح٢١٦١).

مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ۝٢٤﴾ [الرعد].

[الخطبة الثانية]

إفشاء السلام ورد السلام فرصة لجمع الحسنات؛ فعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ**، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَشْرٌ**»، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ**، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عِشْرُونَ**». ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: **السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ**، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثَلَاثُونَ**». [1]

فعلِّموا أبناءكم إلقاء السلام عليكم وعلىٰ غيركم بالتعليم وبالفعل..

والسلام يكون بصيغة الجمع: السلام عليكم، ويكون بالإفراد: السلام عليك.

وأيضا يكون بالتعريف: السلام عليكم، أو بالتنكير: سلامٌ عليكم، فكلها جائزة.

ومن أحكام السلام: أن يسلم الصغير علىٰ الكبير، والماشي علىٰ القاعد، والنازل علىٰ الصاعد، والراكب علىٰ الراجل، والقليل علىٰ الكثير، ومن سبق فقد سبق بالأجر؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، كما في البخاري (ح٦٢٣١)، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قَالَ: «**يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَىٰ الكَبِيرِ، وَالمَارُّ عَلَىٰ القَاعِدِ، وَالقَلِيلُ عَلَىٰ الكَثِيرِ**»، وعن أبي هُرَيْرَةَ أيضا، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَىٰ المَاشِي، وَالمَاشِي عَلَىٰ القَاعِدِ، وَالقَلِيلُ عَلَىٰ الكَثِيرِ**». [2]

ونختم بحديث أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، كما في «الصحيحين» أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ**». [3]

---

(١) سنن أبي داود (ح٥١٩٥)، جامع الترمذي (ح٢٦٨٩).

(٢) البخاري (ح٦٢٣٢)، ومسلم (ح٢١٦٠).

(٣) البخاري (ح٦٢٣٧)، ومسلم (ح٢٥٦٠) واللفظ له.

٤- الإحْسَانُ إلى الْخَلْقِ

[الخطبة الأولىٰ]

اتَّقوا الله حقّ تقاته، قال طلق بن حبيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا وقعت الفتنة فادفعوها بالتقوىٰ. فقالوا: وما التقوىٰ؟ قال: أن تعمل بطاعة الله علىٰ نورٍ من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله علىٰ نورٍ من الله تخافُ عقاب الله.

❍ عباد الرَّحمن،

كم في كتاب الله من الحثّ والأمر علىٰ الإحسان إلىٰ الخَلْق، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل:٩٠]، وكم فيه أنَّ الله يحبُّ المحسنين ويجازيهم الحُسنىٰ علىٰ إحسانهم، قال تعالىٰ: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة]، ويأمر بالعفو والصَّفح عن الزلَّات والإساءات، وأنَّ ذلك من أعظم الحسنات قال تعالىٰ: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف].

والإحسان في العبادة، هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك.

والإحسان إلىٰ الخلق هو بذل المعروف القوليِّ والفعلي والمالي إلىٰ الخلق.

أخرج مسلمٌ في «صحيحه» (ح١٩٥٥) عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ**..» الحديث.

فأعظم الإحسان: تعليمُ الجاهلين، وإرشادُ الضالين، والنَّصيحةُ لجميع العالمين؛ **لأنَّ حاجة الناس إلىٰ إصلاح أديانهم أشدُّ من حاجتهم إلىٰ إصلاح دُنياهم.**

ومن الإحسان: إعانة المحتاجين، وإغاثة الملهوفين، والملهوف هو المظلوم المستغيث؛ وإزالة ضُرّ المضطرين، ومساعدة ذوي الحوائج علىٰ حوائجهم، وبذل الجاه والمقام والشفاعة

للناس في الأمور التي تنفعهم.

ومن الإحسان المالي: جميعُ الصدقات المالية سواءٌ كانت علىٰ المحتاجين، أو علىٰ المشاريع الدِّينية العامّ نفعها كالتعليم القرآني وغيره.

ومن الإحسان: الهدايا والهبات والعطايا للأغنياء والفُقراء، خصوصًا للأقارب والجيران، ومن لهم حقٌّ علىٰ الإنسان من والدٍ ووالدة وزوج وابن وصاحب ومُعاشر وغيرهم؛ لأن هؤلاء لقوة صلتهم به هم أحقُّ الناس بإحسانه وأولاهم به، وخاصة ونحن علىٰ أبواب شهر رمضانَ المعظم.

ومن أعظم أنواع الإحسان: العفو عن المخطئين والمسيئين، والإغضاء عن زلَّاتهم، والعفو عن هفواتهم. والهفوة هي: السَّقطة، فمِن أعظم أنواع الإحسان أن يعفو المرء عمَّن أخطأ عليه، وأساء إليه ابتغاء الأجر من الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ؛ لأن الخطيئة والسيئة ملازمةٌ للجِبِلَّة الآدمية؛ والذي يطلب معاشرًا خاليا من الزلات والهفوات فإنه يطلب مُحالًا.

ومن أفضل الإحسان الذي يتمكَّن به الموفَّق من معاملة الناس علىٰ اختلاف طبقاتهم: البشاشة والتبسُّم وحسن الخلق معهم، ومعاشرتهم باللُّطف والكرم، وإبداء كلِّ ما يقدِر عليه من إدخال السُّرور عليهم، وخصوصًا الوالدين والأبناء والأقارب والأصحاب ونحوهم ممّن يتأكد حقهم علىٰ العبد، ففي «سنن أبي داود» (ح٤٧٩٨) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ**».

ومن علامات العاقل في إحسانه للنَّاس ألَّا ينتظر الوفاء منهم؛ ؛ بل عوِّد نفسك أنك تنتظر ممَّن أحسنت إليه إساءةً إليك، فربَّما أحسنتَ إلىٰ أحدٍ فأساء إليك، وفي الغالب فإنَّ الإحسان إلىٰ الخلق يجعل في قلوبهم منزلةً عاليةً ومحبة للمحسن، وهو لا يرتجي بهذا الإحسان تلك المنزلة؛ لأن الأعمال لا يقبلها الله إلا بالإخلاص، فلا يحصل الكمالُ المرجوُّ من الإحسان إلىٰ الخلق إلا أن يكون العبدُ مخلصًا إلىٰ الله في إحسانه إليهم، لا يريد منهم جزاءً ولا شكورًا، كما قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ فيما ذكر عن عباده الصَّالحين: ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ [الإنسان].

لا كما قال البستي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أَحْسِنْ إِلَىٰ النَّاسِ تَسْتَعْبِدْ قُلُوبَهُمُ فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانَ إِحْسَانُ

فمن يُحسن إلىٰ النَّاس، ليس مقصودُه استمالة قلوب الناس واكتسابها؛ وإنَّما مقصودُه الفوز برضا الله وثوابه، فالإحسان إلىٰ النَّاس قُربةٌ من القُرَب، وبابٌ من أبواب اكتساب الثَّواب.

واسمعُوا قول الله عَزَّوَجَلَّ أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان].

[الخطبة الثانية]

وإن للإحسان بوجوهه كلِّها فوائد لا تحصىٰ.

منها: **حصول محبة الله للمحسنين** التي هي أعلىٰ ما يناله العبد؛ قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [المائدة].

ومنها: **حصول الجزاء الكامل**؛ قال تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ﴾ [يونس:٢٦]، والحسنىٰ الجنة، والزيادة النظر إلىٰ وجهه الكريم سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فياله من فوز ما أعظمه، قال تعالىٰ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن]، أي: هل جزاء الإحسان في العمل إلَّا الإحسان في الجزاء، فالجزاء من جنس العمل، فكما أحسنُوا إلىٰ عباد الله أحسن الله إليهم وأعطاهم أفضل ما يُعطي أولياءه من الجزاء الأَوْفىٰ الأكمل.

ومن فوائد الإحسان: أنَّ هذا **من أكبر أسباب محبَّة الخلق له**، من وصل إحسانه إليه ومن لم يصل إليه، وثناؤهم عليه وكثرة أدعيتهم له، وذلك من الأمور المتنافَس فيها بين الخلق.

ومن فوائد الإحسان أيضا: أنَّه **يستفيد بذلك سُرور القلب وراحته وطمأنينته**، لا سيَّما إحسان العفو، فإنَّه إذا عفا عمَّن ظلمه وأساء إليه، زال أثر ذلك عن قلبه، وعلِم أنَّه اكتسب عن ذلك من ربِّه أفضل جزاء وأعظم ثواب.

قال أبو العباس ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"إذا عملت لله طاعة فلم تجد لها أثرًا فاتَّهم نفسك فإنَّ الرَّب شكور"**. فإن لم تجد سرور القلب وراحته من إحسانك فاتَّهم نفسك واتَّهم إخلاصك في عملك

فإن الله لا يقبل إلا العمل الخالص له.

وأيضًا: **من عفا عن عباد الله عفا الله عنه، ومن سمح عنهم سامحه الله.**

وهناك مراتب ثلاثٌ لابد من وجودها في قلب العاقل البصير:

الأولىٰ: ألا ينتظر وفاءً ممَّن أحسن إليه.

ثانيها: أن يُبادر بالعفو عمَّن أساء إليه.

ثالثها: أن يقرن عفوه بالدُّعاء لمن أساء إليه.

فمتىٰ وُجدت هذه المراتب الثالث حاز الإنسانُ سعادةً عظمىٰ في معاملة الخلق في هذا الباب، ومن ضيَّعها أو ضيَّع واحدة منها حصلت له غُصّة وآلامٌ قلبية بحسب ما فاته، ومن جرَّب ذلك وجده.

ولا يظنَّن الإنسان أن هذه الحال مما يوصَل إليه بغير المجاهدة؛ بل ذلك شاقٌّ علىٰ النفوس، فلابد من رياضة قلبية وتدرُّبٌ وجهادٌ للنفس ومجاهدة، فينبغي أن يتعاهد المرء نفسه بإمدادها بالأخلاق الفاضلة وتطهيرها من الأخلاق السيِّئة، **فإنَّ المرء لا يولد فاضلًا، وإنَّما علىٰ قدر ترقيته نفسَه في الأخلاق يترقىٰ**، ففي «الصحيحين»[1] من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**من يتصبَّر يُصبِّره الله**».

---

(١) البخاري (ح١٤٦٩)، ومسلم (ح١٠٥٣).

٥- الزَّكَاةُ وَأَثَرُهَا فِي المُجْتَمَعِ

[الخطبة الأولىٰ]

قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾ [البيِّنة]؛ فدين الاستقامة: عبادة الله وحده، والبعد عن الشرك، وإقام الصلاة **وإيتاء الزكاة**.

وقد خاطب الله تعالىٰ الرجال بإيتاء الزكاة فقال: ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧﴾ [النور].

وخاطب أيضا النساء بالزكاة فقال تعالىٰ: ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الأحزاب:٣٣].

وإيتاء الزكاة دليل عن الإيمان باليوم الآخر، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٣﴾ [النمل]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٧﴾ [فُصِّلَت].

بل يجب أن يأمر الرجل أهله بالزكاة كما يأمرهم بالصلاة، قال تعالىٰ: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥﴾ [مريم].

والزكاة ركن من أركان الإسلام للحديث المتفق عليه [1] عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، **وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ**، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ».

(١) البخاري (ح٨)، ومسلم (ح١٦).

والصحابة كانوا يبايعون النبي ﷺ علىٰ إيتاء الزكاة: ففي «الصحيحين»[١] من حديث جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قال: «**بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَىٰ إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**».

وقد انعقد الإجماع علىٰ وجوب أداء الزكاة، فأجمعوا علىٰ كفر من جحَدها، ومن امتنع من أدائها أُخذت منه كرْهًا من الحاكم.

ولفرضية الزكاة حِكم كثيرة منها: الرِّفْقُ بالفقراء والمساكين، والتطهُّر من رذيلة البخل، والشُّكر للمُنعم، وقد ورد في الأثر أن: «**النِّعم كالإبل إن شُكرت قرَّت، وإن كُفرت فرَّت فقيِّدوها بالشُّكر**». وإخراج الزكاة شكرٌ لله تعالىٰ علىٰ نعمة المال.

ومنع الزكاة من أسباب منع نزول الأمطار؛ فقد أخرج ابن ماجه (ح٤٠١٩) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنّ**» وذكر الثالثة منها فقال ﷺ: «**وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا**».

والامتناع عن الزَّكاة يكون بعدم إخراجها بالكلية، أو عدم إخراج بعضها، أو صَرْفِها لغير أهلها بإعطائها لقريبٍ لا يستحقُّها أو بنيَّة سدِّ نفقةٍ أو غيرها.

* **فمن صُور عدم إخراجها**: أن يكون للرجل زرعٌ قد أفرك؛ لكنه يأكله بأغنامه أو يكريه لمن يأكله بأغنامه وربما بلغ النصاب؛ فلا يزكِّيه.

* **ومن صور عدم إخراج الزكاة**: احتساب مصاريف الحصاد قبل إخراج زكاة المحصول، فتؤثر علىٰ مقدار الزكاة الواجبِ إخراجُه.

* **ومن صور عدم إخراج الزكاة**: عدم احتساب صغار الماشية التي ولدت حديثا إذا دار الحول علىٰ نصاب أصلها.

* **ومن صور عدم إخراج الزكاة**: عدم إخرام الزكاة من مال الطفل والمجنون لعدم اشتراط البلوغ والعقل في إخراجها، بخلاف أبي حنيفة رحمه الله.

---

(١) البخاري (ح٥٧)، ومسلم (ح٥٦).

* **ومن صور عدم إخراج الزكاة:** عدم احتساب ما وُهب له أو ما وَرِث مع ما عنده من نصاب دار عليه الحول، ويظن أنه يجب أن يستقبل به حولًا جديدا.

فقد كان الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ **لا يفرِّقون بين الصلاة والزكاة**، وقد قرن بينهما الله عَزَّ وَجَلَّ في القرآن ونبينا ﷺ في السنة، قَالَ أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كما في «الصحيحين»[1]: «**وَاللهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَىٰ مَنْعِهَا**»، قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَدْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الحَقُّ**».

واختر يا عبد الله أن تكون ممَّن يدعو لهم ملَكٌ، أو يدعو عليه ملَك؛ ففي «الصحيحين»[2] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**». وإخراج الزكاة من الإنفاق الواجب، وعدم إخراجها من الإمساك المحرم.

واسمعوا قول الله تعالىٰ: أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ﴾ [آل عمران:١٨٠].

[الخطبة الثانية]

إن نصاب الذهب عشرون مثقالا ما يعادل اليوم ٨٥ غراما، ونصاب الفضة مائتا درهم ما يعادل اليوم ٥٩٥ غراما.

واختلف أهل العلم هل يُعتبر في النصاب: الذهب أو الفضة، فوزارة الشؤون الدينيةِ بالجزائر تعتمد علىٰ اعتبار الذهب في النصاب.

لكن الجمهور علىٰ القول بالنظر إلىٰ الأحظ للفقير، وهو في وقتنا هذا اعتبار الفضة نصابا لأن نصابها أقل، ولو اعتبر ذلك ولو احتياطا لزكىٰ كثير من الناس، فالزكاة معيارها حوَلان الحول علىٰ النصاب في النقدين لا غنىٰ المزكِّي.

---

(١) البخاري (ح٧٢٨٤)، ومسلم (ح٢٠).

(٢) البخاري (ح١٤٤٢)، ومسلم (ح١٠١٠).

والواجب إخراج الزكاة حين يتم الحول في أي وقت، والبدار بها من حين يتم الحول، والتأخير اليسير يُعفىٰ عنه، وإذا تم الحول في آخر شعبان وأخرجها في بداية رمضان فالأمر في هذا واسع إن شاء الله؛ لكن التأخير قد يعرض الرجلَ إلىٰ أخطار فقد يموت ولا يخرجها الورثة، أو قد يذهب المال.

وليحذر الناسُ من الدخول في نيَّات المزكِّين، ولمزهم بأنهم مراؤون إن هم أخرجوا في زكاتهم الشيء الكثير، ويلمزونهم بالبخل إن أخرجوا الشيء القليل؛ فأعينوا بعضكم بعضا علىٰ أداء هذه الشعيرة.

فعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، كما في «صحيح البخاري» (ح١٤١٥)، قَالَ: «**لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَةِ**» ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾، «**كُنَّا نُحَامِلُ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ، فَقَالُوا: مُرَائِي، وَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ، فَقَالُوا: إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَاعِ هَذَا، فَنَزَلَتْ: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٩﴾ [التوبة]**».

٦- الشَّجَرَةُ- مَفَاهِيمُ وَأَحْكَامٌ

[الخطبة الأولىٰ]

ثَبَتَ أنَّ الكائنات كلَّها - ومنها الشجر - تَعبُدُ اللهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وتسجدُ له، وتخضعُ له وتنقاد، فقد قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾﴾ [الرحمن]، فالنُّجوم التي في السماء أو النبات الذي ينجم ويطلع من الأرض ولا ساق له، وأشجار الأرض التي لها ساق= تعرف ربَّها وتسجد له، وتنقاد لما سخرها له من مصالح عباده ومنافعهم.

والشَّجرُ يَسمع الأذانَ، ويَشهد للمُؤذِّن؛ ففي «سنن ابن ماجه» (ح٧٢٣)، عن أبي سعيدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: إِذَا كُنْتَ فِي الْبَوَادِي فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالأَذَانِ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**لَا يَسْمَعُهُ جِنٌّ، وَلَا إِنْسٌ، وَلَا شَجَرٌ، وَلَا حَجَرٌ؛ إِلَّا شَهِدَ لَهُ**» وهو حديث صحيح، فإذا كنت بعيدًا عن المدينة مع غنمك ودخل وقت الصلاة فأذِّن للصلاة فإنَّ الشجر والحجر يسمع ويشهد لك بذلك.

والشَّجر موجود في الجنة، فقد قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ، حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَىٰ جَسَدِهِ يَوْمَ يُبْعَثُ**» وهو حديث صحيح.(١)

وشبَّه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسلم بالشجرة، كما في «الصحيحين» (٢) عن عبد الله بن عمر؛ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي**

---

(١) سنن ابن ماجه (ح٤٢٧١).

(٢) البخاري (ح٦١)، ومسلم (ح٢٨١١).

مَا هِيَ؟» فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي، قَالَ عَبْدُ اللهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: فَقَالَ: «**هِيَ النَّخْلَةُ**» قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعُمَرَ، قَالَ: لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَ: هِيَ النَّخْلَةُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كَذَا وَكَذَا.

وإنَّ من الأعمال الصالحة عمل يغفُل عنه كثيرٌ من الناس وهو **غرس الشَّجر بنِيّة الطاعة**؛ فقد حثّ الإسلام علىٰ الغرس ورغَّب فيه، ففي «الصحيحين»(١) عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ، أَوْ إِنْسَانٌ، أَوْ بَهِيمَةٌ= إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ**».

وفي «مسند أحمد» (ح١٢٩٠٢) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنْ قَامَتْ عَلَىٰ أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةُ، وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا**» وهذا يعني أن استنبات الشجر عملٌ صالحٌ يُرعىٰ فيه تطبيق حكمة الله في الأرض، قبل أن يكون عملا تجاريا يراعىٰ فيه إمكانيةُ الكسب ومقداره.

ولشجر الحرم المكي شرف بشرف المكان الذي هو فيه، فقد قال النبيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في «صحيح البخاري» (٢): «**إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا، وَلَا يَعْضُدَ بِهَا شَجَرَةً**» والعضد ضرب الشجرة فيتطاير ورقها، وقطعها أو كسر أغصانها من باب أولىٰ.

معاشر المسلمين؛ إنَّ من النَّاس من يقطع شجرًا ولا يغرِسُ، ويُتلِف ولا يُصلح، ويهدم ولا يبني، ويُؤذي ولا يحسن، ترون أحدهم يأتي إلىٰ شجرة يُستظل بظلالها، فيُشعل في ساقها النَّار، أو يقضي حاجته تحتها، أو يأكلها بأغنامه، ويَحرِم غيرَه الانتفاع بظلِّها أو ثمارها.

ففي «مسند أحمد» (ح٢٧١٥) عن ابْنَ عَبَّاسٍ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَ**» قِيلَ: مَا الْمَلَاعِنُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنْ يَقْعُدَ أَحَدُكُمْ فِي ظِلٍّ يُسْتَظَلُّ فِيهِ، أَوْ فِي طَرِيقٍ، أَوْ فِي نَقْعِ مَاءٍ**» والملاعن؛ يعني الأسباب التي تجلب اللَّعن لصاحبها،

---

(١) البخاري (ح٢٣٢٠)، ومسلم (ح١٥٥٢).

(٢) البخاري (ح١٠٤)، ومسلم (ح١٣٥٤).

فإتيان المرء حاجته من بول وغيره تحت ظل شجرة مثمرة أو غير مثمرة يَستظل بها الناس تجلب له اللعن، واللَّعن الطَّرد من رحمة الله.

وفي «سنن أبي داود» (ح٢٠٣٨) أن سعدًا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وَجَدَ عَبِيدًا مِنْ عَبِيدِ الْمَدِينَةِ يَقْطَعُونَ مِنْ شَجَرِ الْمَدِينَةِ فَأَخَذَ مَتَاعَهُمْ، وَقَالَ: يَعْنِي لِمَوَالِيهِمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَنْهَىٰ أَنْ يُقْطَعَ مِنْ شَجَرِ الْمَدِينَةِ شَيْءٌ، وَقَالَ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ قَطَعَ مِنْهُ شَيْئًا فَلِمَنْ أَخَذَهُ سَلَبُهُ**».

وإنَّ علىٰ من يذهب للنُّزهة في البَر أن يهتم بشأن النَّظافة وأن يترك المكان مثلما كان أو أفضل؛ ولا يقومون من مكانهم إلَّا وقد جمعوا تلك النفايات في كيسٍ يأخذونه معهم ويلقونه في حاويات النَّظافة، فبعض الناس يتركون وراءهم كل شيءٍ حتىٰ حفَّاظات الأطفال، فيتأذَّىٰ بها النَّاسُ والبهائم..

ومن الملاحظات التي ينبغي التَّنبيهُ عليها حفظ تلك الرِّياض من الرَّعي الجائر فلا تُترك البهائم ترعىٰ في الأماكن غير المخصَّصة لها. والرَّقيب هو الله قبل الجهات المسؤولة.

واسمعوا قول الله عَزَّوَجَلَّ حين ضرب المثل بالشَّجرة: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم].

[الخطبة الثانية]

واعلموا -رحمكم الله- أنَّ للشَّجر في آخر الزمان دورٌ في انتصار المسلمين علىٰ اليهود؛ فإنه من علامات السَّاعة الكبرىٰ قِتالُ المسلمين اليهود - في آخِرِ الزمان - وانتصار المسلمين؛ حيث يؤيدُ اللهُ تعالىٰ المسلمين وينصرهم نَصْرًا مُؤزَّرًا، حتىٰ إنَّه سبحانه يُسخِّر الشجرَ والحجرَ للمسلمين؛ فيُعْلِمونهم عن اليهود الذين يختبئون وراءهم فيقتلونهم؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ كما في «صحيح مسلم» (ح٢٩٢٢)، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّىٰ يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا**

مُسْلِمُ؛ يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ».

وفي رواية كما في «صحيح الجامع الصغير» (٢/ ١٣٠٢): «فَيَهْزِمُ اللهُ الْيَهُودَ فَلَا يَبْقَىٰ شَيْءٌ مِمَّا خَلَقَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ يَتَوَاقَىٰ بِهِ يَهُودِيٌّ إِلَّا أَنْطَقَ اللهُ ذلِكَ الشَّيْءَ؛ لَا شَجَرٌ، وَلَا حَجَرٌ، وَلَا حَائِطٌ، وَلَا دَابَّةٌ – إِلَّا الْغَرْقَدَةُ فَإِنَّهَا مِنْ شَجَرِهِمْ لَا تَنْطِقُ – إِلَّا قَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ الْمُسْلِمَ؛ هذَا يَهُودِيٌّ فَتَعَالَ اقْتُلْهُ».

والغرقد شجر له شوك كان ينبت في المدينة في موضع المقبرة؛ لذلك تسمىٰ «بقيع الغرقد».

فدلَّ الحديثُ علىٰ أنَّ جميع الأشجار سَتُعْلِم المسلمَ باختباء اليهوديِّ وراءها، وتُكَلِّمه بذلك إلَّا شجر الغرقد؛ فإنَّه من شجر اليهود.

٧- ذنوب الخلوات وكيف التخلص منها

[الخطبة الأولىٰ]

روىٰ مسلمٌ في «صحيحه» (ح٢٧٤٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ**» هذا الحديث جاء ليبين أنَّ الناس لا يخلون من الذنوب بدليل أنَّ الله لم يذهب بهم، فإنَّ الله لم يخلقنا معصومين ولم يطالبنا بذلك.

لكن هٰذا لا يحمل الإنسانَ علىٰ الاسترسال في اقتراف الذنوب، وليعلم أنَّ له ربًّا يأخذ بالذَّنب ويغفر لمن يستغفر، ومن الذنوب **ذنوب الخلوات**، التي يقول الله فيها: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ۝١٩﴾ [غافر] قال ابن عباس: هو الرجل يكون جالسًا مع القوم فتمرُّ المرأةُ فيسارقهم النظر إليها، وعنه قال أيضا: هو الرجل ينظر إلىٰ المرأة فإذا نظر إليه أصحابه غضّ بصره؛ فإذا رأىٰ منهم غفلة تدسَّس بالنظر، فإذا نظر إليه أصحابه غض بصره. وقال مجاهد هي مسارقة نظر الأعين إلىٰ ما نهىٰ الله عنه. وقال قتادة: هي الهمزة بعينه وإغماضه فيما لا يحب الله تعالىٰ.

فذنوب الخلوات: يُعنىٰ بها انتهاكُ حرمات الله عَزَّوَجَلَّ بعيدًا عن أنظار الناس وهي الخَلوة الحقيقية. أو يكون بعيدًا عن أنظار الناس الذين يعرفونه وهي الخلوة الحكمية.

جاء في «سنن ابن ماجه» (ح٤٢٤٥) بسند جيد من حديث ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «**لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللهُ عَزَّوَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا**» ، قَالَ ثَوْبَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَلَّا نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا**».

أي أنه لا يحمل في نفسه تعظيمًا لحُرمات الله، ولكنَّه يتجمّل أمام الناس، وهو في الباطن مصرٌّ

علىٰ فعله، مقيم علىٰ معصيته، غير خائفٍ من العذاب.

وهذا لا يتعارض مع قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًىٰ إِلَّا المُجَاهِرِينَ**» فالمُستتر بالمعصية الخائف من ذنبه، وهو مشفقٌ من عذاب الله، وليس مستهينًا بحرمة المعاصي أهون من المجاهر بها، فهذا ينبغي له أن يستتر بستر الله، وأن يبادر إلىٰ التوبة الصادقة.

ولمقترفي ذنوب الخلوات ثلاثة أحوال:

النفاق، وهو معروف، فالمنافق له حالٌ في الظاهر وحالٌ في الباطن مختلفتين، والمنافقون من أخبث خلق الله تَعَالىٰ وأبغض خلقه إليه، فهو عبدُ هواه.

الرياء، فهم لا يعملون أعمالًا يبتغون بها وجه الله، فالمرائي يهتم بالثناء من الناس. وهو في خلواته يتّصف بالكسل في الواجبات، وأحيانا يترك الواجبات ويفعل المحرمات.

اقتراف ذنوب الخلوات بسبب ضَعف الإيمان، وضعاف الإيمان أوتوا من جهة شهواتهم.

وقد نهىٰ اللهُ عَزَّوَجَلَّ انتهاك حرماته سرًّا، ونهىٰ أيضا عن هتك ستره بأن يجاهر بما قد عصىٰ الله عَزَّوَجَلَّ به سرًّا؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًىٰ إِلَّا المُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ المُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ البَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ**».[(١)]

فالمقصود من حديث «**أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللهِ انْتَهَكُوهَا**» أنَّ هؤلاء القوم لا ينزجرون عن المحارم إلَّا مراعاةً لأعين الناس فقط، فليس لهم واعظ إلا نظر الناس إليهم؛ أي: أنَّ فعلهم فيه الرياء -والعياذ بالله- فيصير هباءً منثورا.

وقال أحدهم: هل عرفت إذن ما هي النسّافات؟ إنها ذنوب الخلوات؛ لا تُبقي طاعة للإنسان ولا حسنة في الميزان إلا نسفتها، وإن كان العدل أن توافق السريرة العلانية، والجَوْر أن تكون السريرة أخبث من العلانية، فإن الفضل والكمال أن تكون السريرة أفضل من العلانية. والسريرة هي الباطن.

---

(١) البخاري (ح٦٠٦٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أجمع العارفون بالله علىٰ أن ذنوب الخلوات هي أصل الانتكاسات، وأن عبادات الخفاء هي أعظم أسباب الثبات.

واسمَعُوا قول الله عَزَّوَجَلَّ أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ۝١٢ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٤﴾ [المُلك].

قال سحنون رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إياك أن تكون عدوًّا لإبليس في العلانية صديقًا له في السر.

[الخطبة الثانية]

فلو رأيت أحدًا ممن كان مشهوراً بالالتزام، معروفًا عند أهل الخير والإقدام علىٰ حال أخرىٰ، وقد تبدَّل حاله وانتكس= فاعلم أنَّ الأمر لم يكن صدفة ولم يأت بغتة، فإنه بارز الله بالمعاصي في الخلوات حتىٰ تكاثرت علىٰ قلبه فظهرت في العلن.

وكان السلفُ رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ يعرفون صاحب معصية الخلوة، فإنَّ لها شؤمًا يظهر في الوجه ويظهر في ضعف إقباله علىٰ الطَّاعات. وأعظم العقوبة عدم الإحساس بها.

قال عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: إنَّ للحسنة ضياءً في الوجه، ونورًا في القلب، وسعةً في الرزق، وقوةً في البدن، ومحبةً في قلوب الخلق، وإن للسيِّئة سوادًا في الوجه، وظلمةً في القلب، ووهنًا في البدن، ونقصًا في الرِّزق، وبغضةً في قلوب الخلق.

وإنَّ ذنوب الخلوات تستدعي نسيان الله لعبده وتركه وتخليته بينه وبين نفسه وشيطانه؛ قال وُهيب بن الورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اتَّق أن يكون الله أهون الناظرين إليك.

وللذنوب عموما ولذنوب الخلوات خصوصا نتائج وخيمة:

منها أنها تطفئ من القلب نار الغيرة التي هي حياتُه وصلاحه.

والذُّنوب تذهب الحياء الذي هو مادة الحياة للقلب وهو أصل كلِّ خير.

والذنوب تضعف في القلب تعظيم الرب جَلَّجَلَالُهُ وتُضعف وقاره في قلب العبد.

والذُّنوب تزيل النعم وتحل النقم، فما زالت عن العبد نعمةٌ إلا لسبب ذنب ولا حلت به نقمة إلا بذنب، قال الله تَعَالىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ

﴿٣٠﴾ [الشورى].

والذنوب تعمي بصر القلب وتطمس نوره وتسد طرق العلم وتحجب مواد الهداية.

وبسبب الذنوب يُلقي الله سبحانه الرعب والخوف في قلب العاصي فلا تراه إلا خائفًا مرعوبا.

والمشكلة أننا نعلم أنه يرانا ونعلم أنه يغضب إن عصيناه وبالرغم من ذلك نقع في الذنب..؟

الجواب عند ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين قال: تأملتُ وقوع المعاصي من العصاة، فوجدتهم لا يقصدون العصيان وإنما يقصدون موافقة هواهُم، فوقع العصيان تبعًا، فنظرت في سبب ذلك الإقدام مع العلم بوقوع المخالفة؛ فإذا به ملاحظتهم لكرم الخالق، وفضله الزَّاخر. ولو أنهم تأمَّلوا عظمته وهيبته، ما انبسطت كفٌّ بمخالفته.

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ يَزِيدَ الْأَزْدِيِّ، أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْصِنِي، قَالَ: «**أُوصِيكَ أَنْ تَسْتَحِي مِنَ اللهِ** عَزَّوَجَلَّ، **كَمَا تَسْتَحِي مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ مِنْ قَوْمِكَ**» [1] وكم هي نصيحة عظيمة ووصية غالية من الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكل من يقبل علىٰ ذنوب الخلوات فليتذكر هذا الحديث..

واحذروا يا رعاكم الله أن يضيع أولادُكم بسبب ذنوب الخلوات والولوج إلىٰ مواقع الرذيلة والمجون في القنوات الفضائية أو الأنترنت فهي مخدِّرات إلكترونية قلَّ من يدخلها ويتخلَّص منها..

(١) صحيح الجامع الصغير (ح٢٥٤١).

٨- الْحَذَرُ مِنَ الْفِتَنِ

[الخطبة الأولىٰ]

قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣﴾ [النساء] دلَّت الآيةُ علىٰ أمورٍ؛ أهمها أنَّ الله تعالىٰ استنكر إذاعة الخوف في زمن الفتن والتقلّبات؛ فقال: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ﴾.

وكان الأوْلىٰ بهم في هذه الحال أن يردوا الأمر لأهل الاختصاص؛ فقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾، وأولي الأمر هم العلماء والحكّام، هٰذا يعني أن المرجعية في أحداث الخوف والأزمات والفتن هم أهل الاختصاص، وهذا النظر لابد منه ؛ لأنّه من المقاصد الشرعية الكلّية أنَّ الشريعةَ الإسلاميةَ جاءت لحفظ اجتماع الناس، واجتماع كلمتهم، وهٰذا من الأشياء الهامة التي أعاد فيها القرآن وأبدىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران:١٠٣].

فالاجتماع وعدم التفرق مطلوب دائما؛ لكن في حال الأمن لا نشعر بأهميته، أمَّا في حال الفتن والاختلاف فقد قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ﴾، قال: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ﴾ قد يقول أحدنا: أنا معي الحق فينازع الأمر أهله لاعتقاده أن الحق معه؛ فالنتيجة: قول الله تعالىٰ: ﴿فَتَفۡشَلُواْ﴾ النهاية الفشل، فالقوة تكون بالاجتماع ولو كان علىٰ أمرٍ مرجوح، قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ﴾ فالأمر يحتاج إلىٰ صبر، فطَرْح القول رعايةً لجمع الكلمة مطلوبٌ ويحتاج إلىٰ صبر.

ومن الأمور التي ينبغي علىٰ المسلم أن يحرص عليها في زمن الفتن ألا يدخل فيها بلسانه؛ فقد

روىٰ الشيخان [١] عن أبي بكرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في خطبة حجة الوداع: «**إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ**» إلىٰ أن قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**ألا هل بَلَّغت**».

ثم تأمَّل أنّ من أعظم أسباب الفُرقة والاختلاف التي ينتج بها دخول الأفكار الهدَّامة، ودخول الشهوات والشُّبهات= هو: تفريق الناس، قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾، نسوا حظًّا مما ذُكِّروا به فعاقبهم الله بما وصفهم في قوله: ﴿فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ [المائدة:١٤]؛ لأنهم فرّطوا ولم يأخذوا بكتابهم ولم يطيعوا رسولهم، وتتابعت عليهم الأزمنة دون صلاحٍ وإصلاح، ودون توبةٍ وإنابة، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، وجعل لهم بعد الأمن خوفًا، فتفرَّقوا في البلاد شذر مذر، نسأل الله العفو والعافية.

واسمعوا قول الله عَزَّوَجَلَّ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾ [النور].

[الخطبة الثانية]

قال: جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، قَالَ: كُنَّا فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمِعَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فَقَالَ: «**مَا بَالُ دَعْوَىٰ الجَاهِلِيَّةِ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: «**دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**» فَسَمِعَ بِذَلِكَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ، فَقَالَ: فَعَلُوهَا، أَمَا وَاللهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَىٰ المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ

---

(١) البخاري (ح٦٧)، ومسلم (ح١٦٧٩) عن أبي بكرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

اللهِ؛ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**دَعْهُ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**».(١)

فالقبلية في هذا الموطن فتنة منتنة تَرْكُها وعدم التكلُّم بها أولىٰ، والهدف الأسمىٰ هو جمع الكلمة حتىٰ وإن كان في قتل رأس المنافقين مصلحة وهو عبد الله بن أبيّ بن سلول؛ لكن حكمة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ حالت دون الإذن لعمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ بقتله.

ولتعلموا -رحمكم الله- أنَّ الأمن يوم القيامة امتدادٌ للأمن في الدُّنيا:

فأمن يوم القيامة في الحقيقة لا يحصل إلا بالإيمان بالله جَلَّوَعَلَا وأداء فرائض الإسلام، والتقرُّب إلىٰ الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ بنوافل الطاعات، والتَّعاون علىٰ البر والتقوىٰ، وكفِّ الأذىٰ، فيحرصُ المسلم بأن يكفَّ أذاه.

روىٰ البخاريُّ ومسلم (٢) عن جَابِرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، أنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**»، ويترك ما لا يعنيه، ففي جامع التِّرمذي(٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**»، ويهتمُّ بمصلحة الأمَّة، ويحقِّق الأسباب المؤدِّية إلىٰ رضوان الله، والفوز بجنَّته.

ولا يتمُّ ذلك إلا بالإيمان، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**» (٤) والهدف الأسمىٰ هو دخولُ الجنة ورؤية ربنا سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، نسأل الله تعالىٰ أن يستعملنا فيما يُرضيه ويدخلنا جنته، فهو القادر علىٰ ذلك.

---

(١) البخاري (ح٤٩٠٧).

(٢) البخاري (ح١٠)، ومسلم (ح٤١).

(٣) جامع الترمذي (ح٢٣١٧)، وسنن ابن ماجه (ح٣٩٧٦).

(٤) مسلم (ح٥٤).

٩- الوقاية خير من العلاج.

[الخطبة الأولىٰ]

قضىٰ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يتعرَّضَ الناسُ في حياتهم لشيءٍ من البلاء والابتلاء بين الحينِ وآخر، فقال سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥﴾ [البقرة]، ومع هذا فهو القائل سبحانه في موضِعٍ آخر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء:٧١]، وتفسيرُ هذا أنَّ من الواجب علينا جميعًا أن نعلم وأن نُدرِك وأن نتيقَّن أنَّ الله سبحانه يحثُّ المجتمعَ المسلم علىٰ ضـرورة الأخذ بأسباب الوقاية، وعدم التفريط في كيفية السَّلامة والحماية والنجاة ما دامت مُمكنة في استطاعة الإنسان، وهو ما يؤكِّده قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٩٥﴾ [البقرة].

فقد جاء الإسلام بتربيته السّامية بالحثِّ والتوجيه علىٰ أهمية الأخذ بأسباب الوقاية المُمكنة من كلِّ شـرٍّ متوقَّع سواءٌ كانت أمراضًا أو فتنًا أو غيرها من أنواع البلاء، فإذا كان الإنسان يستطيع بإذن الله تعالىٰ أن يحمي نفسَه، أو يحمي غيره من البلاء أو الابتلاء، أو ما في حكم ذلك كالأمراض والأضرار المتنوعة، سواء أكان ذلك علىٰ مستوىٰ الفرد أو الجماعة، فهو خيرٌ له في دينه ودنياه، وفي عاجلِ أمره وآجله، وعلىٰ الإنسان ألا يُهمل ذلك أو يتهاون فيه، فتكون النتيجة مؤسفةً ومؤلمة، ويندم حين لا ينفع النَّدم، نسألُ اللهَ تعالىٰ السلامة والعافية.

فليس هناك شكٌّ في إجماع الأطباء والحُكماء والعُلماء والعقلاء في كل زمانٍ ومكان أنَّ (الوقاية خيرٌ من العلاج)، وأن اجتهاد الإنسان في حماية نفسه من الوقوع فيما يضُـرُّه، أو يُعكِّر عليه صفوَ عيشه، أو يؤثر علىٰ نظام حياته أمرٌ مطلوبٌ، وواجبٌ فرديٌّ وجماعي لا يُنكره عقلٌ، ولا يُفرِّطُ فيه إلا جاهل أو مُتجاهل.

عباد الله، وأذكِّر نفسي وأُذكِّركم بأن سُنّة الله تعالىٰ اقتضت أنَّ الوباء والبلاء والابتلاء لا ينزل

بالناس إلا بما اقترفته أيديهم من المعاصي والذنوب والخطايا والآثام، أو رِفعةً لبعضهم في الدرجات ومحوٍ للسيئات، وما أصابهم لا يُرفع عنهم إلا بالتوبة الصادقة، والنَّدم علىٰ الخطيئة، والعودة إلىٰ الله تعالىٰ، وكثرة الاستغفار في الليل والنهار، والتزام ذكر الله، ومن الأذكار المقيدة كأذكار الصلوات والصباح والمساء والنوم ودخول المسجد والخروج منه، ودخول البيت والخروج منه وغيرها، أو الذكر المطلق؛ فقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في «صحيح الجامع»(١):

«مَنْ قال حِينَ يُمسِي: **بِسمِ اللهِ الَّذي لا يَضُرُّ مع اسْمِه شيءٌ في الأرضِ وَلَا في السَّماءِ، وهوَ السميعُ العليمُ، ثلاثَ مرَّاتٍ، لمْ يُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ حتىٰ يُصبِحَ، ومَنْ قالَها حِينَ يُصبِحُ ثلاثَ مرَّاتٍ، لمْ يُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ حتىٰ يُمْسِي**».

واسمعوا قول الله عَزَّوَجَلَّ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [البقرة].

[الخطبة الثانية]

❍ **عباد الله،**

قال الله تعالىٰ: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ﴾ [البقرة:٢١٦]، ويقول سبحانه في موضعٍ آخر: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء].

فقد يقع للإنسان في حياته شيءٌ من الأقدار المؤلمة، وبعضُ المصائب المفجعة التي تكرهها نفسه، ويُؤلِمُه حصولها، الأمر الذي قد يترتَّب عليه حصول بعض الجزع، أو الإصابة بالهمّ والغم والحزن ونحو ذلك، ممَّا يؤثِّر علىٰ أمور حياته وانتظامها، في حين أنَّ ذلك الأمر المُقدَّر الذي كرهه هو خيرٌ له، إن صبر، فقد شاء الله سبحانه أن يسوق إليه الخير، وأن يحصل علىٰ منحةٍ في ثوب محنة، وعطيةٍ في شكل بليَّة، ومكرُمةٍ في شكل مُصيبة، ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾.

---

(١) صحيح الجامع (٢/ ١٠٩٧)، سنن أبي داود (ح٥٠٨٨)، وجامع الترمذي (ح٣٣٨٨)، وسنن ابن ماجه (ح٣٨٦٩).

وقد كان سلفُنا الصالح يستقبلون ما يُقدِّره الله تعالىٰ لهم وعليهم من البلايا والمصائب والمِحن بالرِّضا والقَبول والاستسلام لله تعالىٰ، وعدم السَّخط والتبرم والشكوىٰ، وقد جاء في «شُعب الإيمان» (ح٩٥٠٧) عن شُريحٍ القاضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أنه قال: «إني لأُصابُ بالمصيبة، فأحمدُ الله عليها أربع مرات:

الأولىٰ: أحمَدُه إذْ لم تكن أعظم مما هي.

الثانية: أحمَدُه إذْ رزقني الصبرَ عليها.

الثالثة: وأحمدُه إذْ وفقنـي للاسترجاع؛ [أي: قول: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون]، لِما أرجو فيه من الثواب.

الرابعة: أحمدُه إذْ لم يجعلها في دينـي».

١٠- الإسْرَافُ وَالتَّبْذِيرُ فِي الماءِ وَتَكَالِيفُ الزَّوَاجِ وَالمآتِمِ

[الخطبة الأولىٰ]

يقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء] قال أهل التفسير: إن المُسرفين والمنفقين أموالهم في معاصي الله هم أشباه الشياطين في الشر والفساد والمعصية.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الأنعام]، قال المفسرون: ولا تتجاوزوا حدود الاعتدال في إخراج المال والطعام والشراب، إنه تعالىٰ لا يحب المتجاوزين حدوده بإنفاق المال في غير وجهه.

فالإسراف: إخراج قدر من المباح يزيد عن المصلحة. والحنابلة يقولون: (يكره الإسراف في المباح)؛ بل ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ وتلميذه ابن القيِّم إلىٰ أنَّ الإسرافَ في المباح محرَّمٌ.

أما **التبذير** فيكون بأحد شيئين: إنفاق المال في غير مباح. والثاني: إنفاق المال في مباحٍ دون تحقق مصلحةٍ فيه حينئذٍ. فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: النَّفَقَةُ فِي غَيْرِ حَقٍّ هُوَ التَّبْذِيرُ.

فالإسراف والتبذير يكون في المال؛ والمال يطلق علىٰ كلِّ ما يُتمول، من سيولة ومواشي وطعام وماء وغيرها.

فمن شدَّة حرص النبي ﷺ التزامَ الشرع كان يحرص علىٰ عدم الاسراف في ماء الوضوء، قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ البخاري [(١)]: «وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ فَرْضَ الوُضُوءِ مَرَّةً مَرَّةً، وَتَوَضَّأَ أَيْضًا مَرَّتَيْنِ وَثَلَاثًا، وَلَمْ يَزِدْ عَلَىٰ ثَلَاثٍ، وَكَرِهَ أَهْلُ العِلْمِ الإِسْرَافَ فِيهِ، وَأَنْ يُجَاوِزُوا فِعْلَ النَّبِيِّ ﷺ».

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الوضوء: باب ما جاء في الوضوء.

وبوب أبو داود في سننه: بَابُ الْإِسْرَافِ فِي الْمَاءِ: وروىٰ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ مُغَفَّلٍ، سَمِعَ ابْنَهُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْقَصْرَ الْأَبْيَضَ، عَنْ يَمِينِ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلْتُهَا، فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّ، سَلِ اللهَ الْجَنَّةَ، وَتَعَوَّذْ بِهِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الطَّهُورِ وَالدُّعَاءِ**». [1]

وروىٰ ابن ماجه (ح٤٢٢): عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلَهُ عَنِ الْوُضُوءِ، فَأَرَاهُ ثَلَاثًا ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «**هَذَا الْوُضُوءُ، فَمَنْ زَادَ عَلَىٰ هَذَا فَقَدْ أَسَاءَ، أَوْ تَعَدَّىٰ، أَوْ ظَلَمَ**».

ومن السَّرف الظاهر عندنا الإسراف والتبذير في تكاليف الزواج: سواء في الصداق، أو الشَّوَار، أو في تكاليف العرس من بارودٍ وغيره، قال الشيخ العلامة مبارك الميلي واصفًا ذلك: تَرَىٰ المُصْدِق أَوْ الْمُشَوِّرَ يَرْهَنُ أَمْلَاكَهُ ـ إِنْ لَمْ يَبِعْهَا ـ أَوْ يَأْتِي عَلَىٰ أَهَمِّ ذَخِيرَتِهِ إِنْ لَمْ يَسْتَنْفِذْهَا، لِيُقَالَ: إِنَّ عَرُوسَهُ أَوْ كَرِيمَتَهُ جَاءَتْ بِالخَمْسِينَاتِ أَوِ المِئَاتِ مِنَ الْمَلَابِسِ وَبِكَذا وَكَذَا مِنْ أَنْوَاعِ الزِّينَةِ الَّتِي يُبْلِيهَا النَّظَرُ قَبْلَ الْجَسَدِ، وَيَذْهَبُ بِرَوْنَقِهَا الْهَوَاءُ قَبْلَ الغَمْسِ فِي المَاءِ.

وَلَوْ أَنَّ السَّرَفَ فِي الصَّدَاقِ وَالشَّوَّار كَانَ بِتَمْلِيكِ الزَّوْجَيْنِ أُصُولًا تُغَلُّ أَوْ حَيَوَانَاتٍ تُنْتِجُ، لَكَانَ فِي مَنْفَعَتِهِ مَا يُخَفِّفُ قَلِيلًا مِنْ مَفْسَدَتِهِ، وَلَكِنَّهُ كَمَا تَرَوْنَ وَتَسْمَعُونَ ضَرِيبَةٌ فَادِحَةٌ يستفيد منها نَوْعٌ مِنَ التُّجَّارِ، لَا نَجِدُهُمْ لِلتَّنْفِيسِ عَلَىٰ مُعْسِرٍ وَلَا لِبِنَاءِ مَشْرُوعٍ خَيْرِيٍّ!!

ثم ذكر أهم مفاسد ذلك، في النقاط التالية:

أَحَدُهَا: **غَرْسُ الْكَرَاهِيَةِ فِي نَفْسِ الزَّوْجِ** لِمَا يُحْدِثُهُ التَّكَلُّفُ فِي الصَّدَاقِ وكثرة الديون مِنْ ضَعْفِ رَابِطَةِ الْمَحَبَّةِ وَالرَّحْمَةِ الَّتِي هِيَ مِسَاكُ الْحَيَاةِ الزَّوْجِيَّةِ.

ثَانِيهَا: **عُنُوسُ الْمَرْأَةِ** بِالْعَجْزِ عَنِ الشَّوَّار أَوِ الصَّدَاقِ، وَالْعَانِسُ مُنَغِّصَةٌ لِحَيَاةِ أُسْرَتِهَا.

ثَالِثُهَا: **عُزُوبَةُ الرَّجُلِ** بِعَجْزِهِ عَنْ ذَلِكَ السَّرَفِ فِي الصَّدَاقِ، وَالرَّجُلُ الأَعْزَبُ عُضْوٌ أَشَلُّ فِي الْأَغْلَبِ.

---

(١) سنن أبي داود (ح٩٦).

رَابِعُهَا: **كَثْرَةُ الطَّلَاقِ** لانْبِنَاءِ عُقْدَةِ النِّكَاحِ عَلَىٰ السَّرَفِ فِي الصَّدَاقِ، لَا عَلَىٰ الْمَحَبَّةِ وَالْوِفَاقِ.

خَامِسُهَا: **ضَعْفُ الأَخْلَاقِ وَانْتِشَارُ الشُّرُورِ** مِنْ أَجْلِ اضْطِرَابِ النُّفُوسِ، النَّاشِئِ عَنِ العُزُوبَةِ وَالْعُنُوسة، فَإِنَّ النِّكَاحَ سُكُونٌ وَطُمَأْنِينَةٌ لِلزَّوْجَيْنِ

سَادِسُهَا: **صَرْفُ مَوَاهِبِ الشَّبَابِ** إِلَىٰ الاشْتِغَالِ بِالْفَارِغَاتِ؛ بَلِ العَامِرَاتِ بِالْمَسَاوِي، وَالَّذِي يَأْلَفُ مَنَاظِرَ الْغَرَامِ وَالْهَزَلِ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقِفَ مَوْقِفَ الْجِدِّ وَالبُطُولَةِ.

واسمعوا قول الله جلَّ وعلا أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإيَّاكم بما فيه من الآيات والذِّكر الحكيم، أقول قولي هٰذا، وأستغفرُ اللهَ العظيم الجليل لي ولكم، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنَّه هو التوّاب الرحيم.

[الخطبة الثانية]

أيضا من السرف: إطعام أهل الميت للمعزين ممن لم يأتوا من مسافات بعيدة، بل هم جيران وأقارب يتحينون وقت الطعام فيجتمعون باسم التعزية وهم يزيدونهم همًّا علىٰ هم، ولا يستفيق أهل الميت من ذلك إلا بعد أيام، وقد لخّصها الشيخ المبارك الميلي أمين جمعية العلماء المسلمين، فقال فيما معناه: وَأَمَّا الْإِطْعَامُ عَلَىٰ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ مَا يُسَمَّىٰ فِي لِسَانِنَا: «النَّعْيُ»، وَفِي لِسَانِ سَلَفِنَا الْفَصِيحِ «الْهَضِيمَةُ»، وَأَحْسَنُوا فِي هٰذَا الاِسْمِ، فَإِنَّ فِيهَا لَهَضْمًا وَأَكْلًا لِأَمْوَالِ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا!! يَتَكَلَّفُ وَلِيُّ الْمَيِّتِ إِطْعَامَ النَّاسِ عَلَىٰ نَحْوِ طَعَامِ الْوَلَائِمِ.

بَلْ نَأْكُلُ وَنَسْتَرِطُ وَنَأْخُذُ وَنَغْتَبِطُ!! وَاللهُ تَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾[النِّسَاء].

وَقَدْ أَثْمَرَ هٰذَا السَّرَفُ الْمَمْقُوتُ ـ عِلَاوَةً عَلَىٰ افْتِقَارِ أُسَرٍ وَافْتِضَاحِ بُيُوتٍ أُخَرَ مَفَاسِدَ:

إِحْدَاهَا: **ضَيَاعُ الْيَتَامَىٰ**، فَلَا مَالَ يَبْقَىٰ عَلَىٰ كَرَامَتِهِمْ، وَلَا قُدْرَةَ عَلَىٰ عَمَلٍ لِسَدِّ حَاجَتِهِمْ، وَلَا أَقْرِبَاءَ يُرَاعُونَ حَقَّ قَرَابَتِهِمْ، وَلَا جَمْعِيَاتٍ تَقُومُ بِكَفَالَتِهِمْ.

ثَانِيتُهَا: **قَسْوَةُ الْقُلُوبِ وَالْغَفْلَةُ عَنِ عِظَةِ الْمَوْتِ**، فَهُمْ يَأْكُلُونَ وَيَتَلَذَّذُونَ!! وَيَتَحَدَّثُونَ

وَيَضْحَكُونَ!! وَيَغْتَابُونَ وَيَعِيبُونَ!! وَوُفُودُ التَّعْزِيَةِ لِلْمُصَابِ يَمْتَحِنُونَ! فَإِنْ وَجَدُوا لَدَيْهِ مِنْ لَوَازِمِ الضِّيَافَةِ مَا يَقْضِي لِبَانَاتِهِمْ قَالُوا: (مَا مَاتَ مَنْ خَلَّىٰ مِثْلَكَ، خَلَّاهَا تَبَارَكَ اللهُ عَامِرَةٌ). وَإِنْ لَمْ يَجِدُوا مَا يَسُدُّ نَهَمَهُمْ وَيَبْهَتُ نَظَرَهُمْ قَالُوا: (خَلَتْ دَارُ فُلَانٍ).

إِنْ هٰذَا لَهُوَ الْمُصِيبَةُ الَّتِي لَا يُقَاسُ بِهَا ثُكْلُ ثَاكِلٍ وَالدَّاهِيَةُ الَّتِي تَصْفَرُّ حَقِيقَةً مِنْهَا الْأَنَامِلُ.

وحقيقة الإطعام هنا، أن يصنع الجيران لأهل الميت الطعام، وأن يَطعم من جاء معزيا من بعيد.

فالطعام الذي يُصنع في حال وفاة أحدٍ علىٰ ثلاثة أحوال:

الحال الأولىٰ: أن يصنع لآل الميت ولا يدعىٰ للاجتماع عليه؛ بل من حضر أكل.

والحال الثَّانية: أن يُصنع لآل الميت، ويدعىٰ له النَّاس، فهٰذا ممنوعٌ لأنَّه من النَّعي.

والحال الثَّالثة: أن يصنعه آل الميت لغيرهم، فإن كان ضيفًا طارئا عليهم من خارج البلد لا بأس به، وإن لم يكن كذلك فإنه ممنوعٌ منه.

١١- كَبَائِرُ الذُّنُوبِ

[الخطبة الأولىٰ]

قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء]، فَقَد تَكَفَّلَ اللهُ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بهذه الآية لِمَنْ اجْتَنَبَ الْكَبَائِرِ بَأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّة.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**الصَّلَاةُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَىٰ الْجُمُعَةِ، كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، مَا لَمْ تُغْشَ الْكَبَائِرُ**» (١) ففي الحديث أنَّ خيرية الإنسان وفوزه وسعادته في الدَّنيا والآخرة لابد فيه من أمرين: المحافظة علىٰ الفرائض واجتنابُ الكبائر.

وبهذا يتعيَّن علينا معرفة ما هي الكبائر، حتىٰ نجتنبها، كما قيل:

عَـرَفْـتُ الشَّـرَّ لا لِلشَّـرْ ... رِ لـٰكِـنْ لِـتَـوَقِّـيـهِ
وَمَـــنْ لا يَعْـرِفِ الـشَّـرَّ ... مِـنَ النَّـاسِ يَـقَـعْ فِـيـــهِ

والكبيرة شرعًا هي ما نُهي عنه علىٰ وجه التَّعظيم. وسنذكر بعض الكبائر لا للحصر:

فالكبيرة ١: الإشراك بالله، وهو جعل شيء من العبادة لغير الله، قَالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان].

الكبيرة ٢: قتل النَّفس، وهو إزهاقُها بإيرادها الموت، قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء].

الكبيرة ٣: السِّحر، هو عقد الرُّقىٰ والنَّفث فيها مع الاستعانة بالشَّياطين. قَالَ اللهُ تَعَالىٰ:

---

(١) مسلم (٢٣٣).

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾ [البقرة:١٠٢]

الكبيرة ٤: ترك الصّلاة، والمراد بها الصّلاة المكتوبة؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ۝٤٣﴾ [المدثر].

الكبيرة ٥: أداء الصّلاة في غير وقتها، قال تعالىٰ: ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ۝١٠٣﴾ [النساء].

الكبيرة ٦: منع الزّكاة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ۝٧﴾ [فصلت].

الكبيرة ٧: عقوقُ الوالدين، وهو قطع الحقوق اللّازمة لهما، قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ﴾ [الأنعام:١٥١].

الكبيرة ٨: أكل الرِّبا؛ وهو بَيْعُ جنس معلومٍ بجنسه متفاضلًا، أو مع تأخير القبْض؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ۝٢٧٩﴾ [البقرة].

الكبيرة ٩: أكل أموال اليتامىٰ؛ واليتيم هو الذي مات أبوه، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ۝١٠﴾.

الكبيرة ١٠: الفِطْر في رمضان بلا عذر، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝١٨٣﴾ [البقرة].

الكبيرة ١١: ترك الحج مع الاستطاعة، والمرادُ به حجُّ الفرض، قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾ [آل عمران: ٩٧]

الكبيرة ١٢: الزنىٰ، وهو وطء الفرج الحرام قُبُلا، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ۝٣٢﴾ [الإسراء].

الكبيرة ١٣: غِشُّ الإمام رعيته، والغشّ هو تغطية الحقِّ والإخبار بخلافه، والغش كله كبيرة،

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ...**». [(١)]

الكبيرة ١٤: شرب الخمر، وإن لم يَسْكر منه، والخمر اسم لكلِّ ما خامر العقل؛ أي: خالط العقل فأفسده وغيَّره، ولا يختصّ بالشُّرب؛ كالحشيش والحبوب المخدرة،

الكبيرة ١٥: القِمار. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠﴾ [المائدة].

الكبيرة ١٦: شهادة الزور، والزور: الباطل والكذب؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ٣٠﴾ [الحج].

الكبيرة ١٧: اللواط، وهو وطء الفرج الحرام دُبُرا، ذكر الله سبحانه قصة قوم لوط في القرآن في عدة واضع، وَأَجْمَعَ المُسْلِمُونَ مِنْ أَهْلِ المِلَلِ أَنَّ التَّلَوُّطَ مِنَ الكَبَائِرِ. وهو أَفْحَشُ مِنَ الزِّنَىٰ وَأَقْبَحُ.

الكبيرة ١٨: قذف المحصنات؛ هو رمي النساء بإتيان الفاحشة، ويدخل في ذلك الرجال، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٢٣﴾ [النور].

الكبيرة ١٩: الغلول من مال الدولة والزكاة، والغلول هو الخيانة في المال بأخذه بغير وجه حقّ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ [آل عمران:١٦١].

الكبيرة ٢٠: السَّرقة؛ وهي أخذ المال خُفيةً من صاحبه من حِرْزِ مثله، حقيقةً أو حكما؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨﴾ [المائدة].

الكبيرة ٢١: اليمين الغَموس، وهي اليمين الكاذبة التي تُقتطع بها الحقوق، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ حَلَفَ عَلَىٰ يَمِينٍ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانٌ». [(٢)]

---

(١) البخاري (ح٨٩٣)، مسلم (ح١٨٢٩).

(٢) البخاري (ح٤٥٤٩)، ومسلم (ح١٣٨).

الكبيرة ٢٢: الكذب، وهو الخبر عما يُخالف الواقع؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ٢٨﴾ [غافر].

الكبيرة ٢٣: قاتل نفسه، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ٣٠﴾ [النساء]

الكبيرة ٢٤: الرّجلة من النساء، والمخنث من الرجال، قَالَ ابنُ عَبَّاس: «**لَعَنَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ **الْمُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالْمُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ**» صَحِيحٌ. (١)

الكبيرة ٢٥: نكاح التَّحليل، وهو النكاح الذي يراد إباحة المرأة المطلّقة طلاقًا بائنا لزوجها، عن ابنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ «**لَعَنَ الْمُحَلِّلَ وَالْمُحَلَّلَ لَهُ**» رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ. (٢)

الكبيرة ٢٦: أكل الميتة والدم ولحم الخنزير، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ﴾

واسمَعُوا قولَ الله عَزَّوَجَلَّ أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ٣١﴾ [النساء].

[الخطبة الثانية]

أما **الكبيرة ٢٧: أذية المسلمين**، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ٥٨﴾ [الأحزاب].

الكبيرة ٢٨: الرياء، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤﴾ [البقرة].

الكبيرة ٢٩: كتم العلم عن أهله المستحقين له، والمراد بالكَتْم المنع والحبْس، قَالَ النَّبِيُّ

---

(١) البخاري (ح٥٨٨٦).

(٢) جامع الترمذي (ح١١١٩)، وسنن النسائي (ح٣٤١٦).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**منْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فكَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ**». (١)

الكبيرة ٣٠: المنان، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ [البقرة:٢٦٤]. وهو الذي يتصدق ويتحدث عن صدقته.

الكبيرة ٣١: اللَّعن؛ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. (٢)

الكبيرة ٣٢: تَصْدِيقُ الكَاهن والعرّاف، والكاهن: هو الذي يدعي علم الغيب، مستعينا بالجن بما يسترقون من السمع. والعرَّاف: هو المدعي علم الغيب، فيستدل بأمور ظاهرة معروفة علىٰ أمور غائبة مستورة. قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». (٣)

الكبيرة ٣٣: نشوز المرأة بلا عذر مبيح، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَىٰ فِرَاشِهِ، فَلَمْ تَأْتِهِ فَبَاتَ غَضْبَانًا عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّىٰ تُصْبِحَ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. (٤)

الكبيرة ٣٤: قطيعة الرحم، وهي قطع الصِّلة بالقرابة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد].

الكبيرة ٣٥: النَّميمة، وهي نقل الكلام بين الناس علىٰ وجه الإفساد.

الكبيرة ٣٦: عدم التنزُّه من البول؛ والتَّنزُّه هو التَّطهُّر، ويلحق بالبول غيرُه، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**» رواه البخاري. (٥)

الكبيرة ٣٧: النياحة واللطم، والنياحة رفع الصوت في البكاء.

---

(١) سنن أبي داود (ح٣٦٥٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وسنن ابن ماجه (ح٢٦٤) عن أنس بن مالك.

(٢) البخاري (ح٦١٠٥)، ومسلم (١١٠) عن ثابت بن الضحاك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) جامع الترمذي (ح١٣٥)، سنن ابن ماجه (٦٣٩)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) البخاري (ح٣٢٣٧)، مسلم (ح١٤٣٦).

(٥) البخاري (ح٢١٨)، مسلم (ح٢٩٢).

الكبيرة ٣٨: الطعن في الأنساب؛ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ (ح٦٧).

الكبيرة ٣٩: إسبال الثِّياب خيلاء، قَالَ جَابِرُ بْنُ سليم: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ فَإِنَّهَا مِنَ المَخِيلَةِ، وَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ المَخِيلَةَ**». [١]

الكبيرة ٤٠: لِبَاسُ الْحَرِيرِ وَالذَّهَبِ لِلرِّجَالِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ لَبِسَ الْحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبِسْهُ فِي الْآخِرَةِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [٢]

الكبيرة ٤١: الذَّبح لغير الله،

الكبيرة ٤٢: تغيير منار الأرض؛ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ غيّرَ تُخُومَ الْأَرْضِ**». [٣]

الكبيرة ٤٣: الواصلة لشعرها، والواشمة، والمتفلِّجة، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَعَنَ اللهُ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ، وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ، وَالنَّامِصَةَ وَالْمُتَنَمِّصَةَ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، والْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [٤]

الكبيرة ٤٤: من أشار إلىٰ أخيه بحديدة، ويدخل في ذلك السلاح، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَشَارَ إِلَىٰ أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ (ح٢٦١٦).

الكبيرة ٤٥: مَنْ ادَّعَىٰ إِلَىٰ غَيْرِ أَبِيهِ، عَنْ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ ادَّعَىٰ إِلَىٰ غَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ أَبِيهِ فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. [٥]

الكبيرة ٤٦: التَّطفيف في الميزان، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ

---

(١) سنن أبي داود (ح٤٠٨٤).

(٢) البخاري (ح٥٨٣٤)، ومسلم (ح٢٠٧٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) مسند أحمد (ح٢٩١٣).

(٤) البخاري (ح٥٩٤٣، ٥٩٣٧) ومسلم (ح٢١٢٥، ٢١٢٢).

(٥) البخاري (ح٤٣٢٦)، ومسلم (ح٦٣) عن سعد وأبي بكرة رضي الله عنهما.

عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين].

الكبيرة ٤٧: الكِبَر والخيلاء؛ والكبر: هو ردُّ الحق واحتقار الناس، والخيلاء: الزُّهُو بالنَّفس. قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۝٢٧﴾ [غافر].

الكبيرة ٤٨: الغِيبَة؛ وهي ذِكر المسلم بما يكرهه. قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾ [القلم].

الكبيرة ٤٩: الرِّشوة، وهي ما يُبذل من المال للتوصُّل إلىٰ المقصود بغير حق، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَىٰ الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي**» صَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ.(١)

الكبيرة ٥٠: هجر المسلم، وهو مقاطعتُه علىٰ وجه المُنافرة بغير حقٍّ شرعي. عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ**» رواه البخاري.(٢)

الكبيرة ٥١: وطء الحائض، أي: جماعها في فرجها حال حيْضها، قال تعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ﴾ [البقرة:٢٢٢].

الكبيرة ٥٢: منْعُ الميراث أهله، والميراث: اسمٌ لما يبقىٰ بعد الميت من مال، وأهلُه هم الوارثون له. وقد قال الله تعالىٰ بعد أن ذكر بعض أحكام الميراث في سورة النساء ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ﴾ إلىٰ أن قال: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝١٤﴾ [النساء:١٣-١٤]

الكبيرة ٥٣: ترك صلاة الْجُمْعَةِ لِيُصَلِّي وَحْدَهُ؛ لأن الجمعة سُمِّيت جمعة لاجتماع الناس

---

(١) سنن أبي داود (ح٣٥٨٠)، وجامع الترمذي (ح١٣٣٧)، وسنن ابن ماجه (ح٢٣١٣).

(٢) البخاري (ح٦٠٦٥)، ومسلم (ح٢٥٥٨).

فيها؛ فعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِقَوْمٍ يَتَخَلَّفُونَ عَن الْجُمْعَةِ: «**لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ رَجُلًا يُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ أُحَرِّقَ عَلَىٰ رِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَن الْجُمْعَةِ بُيُوتَهُمْ**». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (ح٦٥١).

فاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّم عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

١٢- الْحَسَدُ - أَسْبَابُه وَعِلاجُه

[الخطبة الأولىٰ]

واتَّقوا يومًا تُرجعون فيه إلىٰ الله ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشعراء]؛ ولكن انتشر مرض من أمراض القلوب فتعكر صفاؤها وذهبت سلامتها؛ **إنه: مرض الحسد والبغضاء** الذي يحلق دين الإنسان كما يحلق الموسىٰ الشعر.

روىٰ الترمذي في «جامعه» (ح٢٥٠٩) عن الزُّبَيْرِ بْنَ العَوَّامِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الحَسَدُ وَالبَغْضَاءُ، هِيَ الحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ؛ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ**».

فالحسد هو تمنِّي زوال النِّعمة عن صاحبها سواءً كانت نعمةً دينيّةً أو دنيويّةً، يقول ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: أصل الحسد: هو بُغض نعمة الله علىٰ المحسود وتمنِّي زوالها.

فالحسدُ صفةٌ مذمومة، لا تتخلَّق بها إلا النفوسُ المريضة؛ وهو صفةٌ وضيعةٌ حقيرة لا تكون إلا في نفس العاجز؛ فالعاجزُ عن فعل الخير يتمنَّىٰ زواله عن غيره؛ فالبخيل يحسِد المُنفق، والعاصي يحسِد المُطيع، والكافر يحسد المسلم؛ قال تعالىٰ: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء:٨٩]؛ فالحسود عدو النِّعمة يتمنَّىٰ زوالَها عن غيره، وسبب حسدِه هو حبُّ الدنيا.

والحسدُ ملازمٌ للبشر ما تحرَّك فيهم طرف، يقول ابن رجب: (الحسد مركوزٌ في طباع البشر، وهو أن الإنسان يكره أن يفوقَه أحدٌ من جنسه في شيءٍ من الفضائل).

لكن أهل الخير يصرفون أنفسهم عن الحسد، بخلاف غيرهم.

وللحسد أسبابٌ كثيرة؛ أهمُّها:

١- **البُغض**؛ قال تعالىٰ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء:٥٤]؛ فيكون للرَّجلِ فضيلةٌ تُذكَر أو منقبةٌ تُشكَر= فتثور نفسُ الحاسد بُغضًا؛ كما بغض اليهودُ النبيَّ

صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢- **الكِبر والعُجب**؛ يرىٰ الحاسد غنيًّا مُنفقًا فيقول حاسدا: إن ماله مغشوش، ويرىٰ عالمًا مدرِّسا فيقول: إن علمه مغشوش، فالحسد هنا يختصُّ بمن علا مع عجز الحاسد عن إدراكه. وكان حسد الكفار للنَّبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قريبًا من ذلك، قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ٣١﴾ [الزُّخرُف].

٣- **حبُّ الرِّئاسةِ والجاه**: بأن يريد الحاسدُ أن يكون وحيدًا في مجالٍ من المجالات، فإن رأىٰ من جاراه: ساءَهُ ذلك؛ فحسده وبغضه وأحب هلكته أو زوالَ نعمته التي يشاركه فيها؛ وذلك لحبِّ الرئاسة والجاه والإنفراد به، سواءٌ في الأموال أو التِّجارات، أو العقارات، أو الشهادات... ومَن فعل ذلك فقد شابه أبا جهل حين قال واصفًا قبيلته وقبيلة النبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تنازعنا نَحن وبنو عبد مَناف الشَّرفَ: أطعموا فأطعمْنا، وحَملوا فحملْنا، وأعطَوْا فأعطَيْنا، حتَّىٰ كنَّا كفرَسَيْ رهان؛ قالوا: مِنَّا نبيٌّ يأتيه الوحيُ من السماء، فمتىٰ نُدْرِك مثلَ هذه؟ واللهِ، لا نُؤمِنُ به أبدًا، ولا نُصدِّقُه.

٤- **خُبْثُ النَّفس وشُحُّها**: قال بعضُ العلماء: البخيل من يبخل بمال نفسه، والشَّحِيح الذي يبخل بمال غيره.. فالحاسِدُ يبخل بنعمة الله علىٰ عباده.

وللحسد أضرارٌ علىٰ الحاسد والمحسود والمجتمع، ويكفي الحاسدَ ما رواه النسائيُّ (ح٣١٠٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**وَلَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ: الْإِيمَانُ وَالْحَسَدُ**»، والحسد يقتل الحاسد غمًّا وهمًّا ونكدًا قبل أن يصل إلىٰ المحسود فيُصيبه بالعين، قال معاويةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ليس من خصال الشَّرِّ أعدلُ من الحسد، يقتلُ الحاسدَ قبل أن يصل إلىٰ المحسود».

والحاسد عدوّ نعمةِ الله تعالىٰ؛ قال عبد الله ابن مسعود: «لا تُعادُوا نِعم الله. قيل له: ومن يعادي نِعم الله؟، قال: الَّذين يحسدون الناس علىٰ ما آتاهم الله من فضله»

والحسَدُ يمزِّق المجتمعَ ويفرِّقُه، ويزرع فيه الشَّحناء والضَّغينة، والتَّنافرَ والتدابر؛ وربما يصل إلىٰ القتل..

ومن أضرار الحسد أنه يمنع صاحبَه من قَبول الحقِّ والإذعان له، فقد كان اليهود يعلَمُون أنَّ

محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبيُّ الله حقًّا؛ لكن حينما جاء من غيرهم -أي: من العرب- كفرُوا به بغيًا وحسدًا.

عباد الله، واسمعوا قول الله تعالىٰ: بسم الله الرَّحمن الرحيم ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾.

[الخطبة الثانية]

لعلاج الحسد أمورٌ ذكر بعضَها ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومن أهمها:

١- **التعوذ بالله من شرِّ الحاسد**؛ ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾

٢- **التوكُّل علىٰ الله تعالىٰ**، فمن توكل علىٰ الله فهو حسبه.

٣- **الرِّضا بقضاء الله وقدره**، خيره وشره، وحلوه ومُرّه من الله تعالىٰ..

٤- **التَّوبةُ إلىٰ الله تعالىٰ** من الذُّنوب التي سَلَّطَتْ عليه أعداءه؛ فإنَّ الله تعالىٰ يقول: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ۝٣٠﴾ [الشورىٰ].

٥- **الصَّدقة والإحسانُ ما أمكنه**، فإنَّ لذلك تأثيرًا عجيبًا في دفع البلاء، ودفعِ العين، وشر الحاسد.

٦- **إطفاءُ نار الحاسد** والباغي والمؤذي بالإحسان إليه، وهو من أصعب الأسباب علىٰ النَّفس، وأشقِّها عليها، ولا يُوفَّق له إلَّا من عظُم حظُّهُ من الله تعالىٰ.

٧- **إفشاء السلام بين الناس**؛ **من تعرف ومن لا تعرف**؛ فعن الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قَالَ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الحَسَدُ وَالبَغْضَاءُ؛ هِيَ الحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ؛ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا، أَفَلَا أُنَبِّئُكُم بِمَا يُثَبِّتُ ذَلِكَ لَكُمْ؟ **أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**». [(١)]

وأخيرا إذا ابتليت بنظرةِ حاسدٍ فعليك بالعلاج بالرُّقية الشرعية، وإياك واللُّجوء إلىٰ الكهنة

---

(١) مسلم (ح٥٤).

والعرَّافين والدَّجالين.

واعلموا رحمكم الله؛ أنَّ **الحسَد قسمان**: حقيقي ومجازي.

فالحقيقيّ تمنِّي زوال النِّعمة عن صاحبها، وهو حرام بالإجماع كما سبق.

وأما المَجَازي فهو الغبطة؛ وهو أن يتمنىٰ مثل النعمة التي علىٰ غيره، من غير زوالِها عن صاحبها، فإنْ كانت في أمور الدنيا فهي مباحة، وإن كانت في أمور الآخرة؛ من طاعة فهي مستحبة؛ ففي «الصحيحين»[(١)] من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا؛ فَسَلَّطَهُ عَلَىٰ هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً؛ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**». والمراد: لا غبطةً محبوبةً إلا في هاتين الخصلتين.

(١) البخاري (ح٧٣)، ومسلم (ح٨١٥).

١٣- ذَمُّ الغِيبَة- أَسْبَابُها وَعِلاجُها.

[الخطبة الأولىٰ]

قال الله تعالىٰ -وهو أصدق القائلين-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ١٢﴾ [الحُجُرات].

وروىٰ أبو داود في «سننه» (ح٤٨٧٨) بإسناد حسن عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَمَّا عُرِجَ بِي**» إلىٰ السماء «**مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ، قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ**». وخَمْشُ الوجه أي: الجَرْح غيرُ الغائر.

وقال أبو قِلابة الرَّقَاشِي: سمعتُ أبا عاصمٍ يقول: ما اغتبتُ أحدا منذ عرفتُ ما في الغيبة.

وقيل لعَمرو بن عُبيد: لقد وقع فيك فلانٌ حتىٰ رحِمناك، قال: إيَّاه فارحموا.

وعن قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ قال: ﴿هَمَّازٍ﴾ يأكل لحوم الناس، ﴿مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ١١﴾ [القلم] ينقل الأحاديث من بعض الناس إلىٰ بعض. وسنُفرد جمعة أخرىٰ لكبيرة النَّميمة إن شاء الله تعالىٰ.

فالغِيبة كبيرة من كبائر الذنوب.

روىٰ مسلم (ح٢٥٨٩) وغيره عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**» قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ**».

فحدُّ الغِيبة: أن تذكُر أخاك بما لو سَمِعَه أساءه، سواءً ذكرتَ بعضًا في بدنه، أو سنِّه، أو خِلقته، أو فِعله، أو قوله، أو دينه، أو دنياه، حتىٰ في ثوبه، وداره، وسيارته.

فأمَّا البدن: كالحَوَل والعور والطول والقصر وجميع ما يُتصوَّر أنه يكرهه.

وأما النَّسب كأن تقول: أبوه فيه كذا وكذا. وكلُّ ما يتأذّىٰ به إذا سمعه.

وأما الخُلق كأن تصِفَه بالتكبر والجُبن والبخل.

وأما الفعل كقول: هو سارقٌ أو كذّاب أو خائن أو ظالمٌ.. وما أشبه ذلك.

وأما أفعاله الدنيوية كقول: هو قليل الأدب، كثير الأكل، أو أنه نوام...

وأما ثوبه كقول: هو وسخ الثِّياب.

وهذه الأسباب وما جانسها إذا ذكرتَ بها غيرك وكان يكره ذلك؛ كُنت له مغتابًا، وآكلًا لحمه، وعاصيًا لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، ولو كنت صادقًا فيما ذكرته به.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [الحُجُرات].

وأمَّا الإصغاءُ إلىٰ الغِيبة وسماعُها علىٰ سبيل التعجُّب والرِّضا بها لتَحْرِيضِ المُغتاب علىٰ الزِّيادة بالغِيبة، وليستخرج منه كمال الغِيبة؛ بأن يقول متعجِّبًا: كنتُ أعتقد فيه غير هذا، أو قوله: عافانا الله ممَّا ابتلاه، فهذه مشاركةٌ للمُغتاب في الغِيبة.

ومن أشدِّ أنواع الغِيبة؛ غِيبة العلماء وتشويه سُمعتهم -**بحقٍّ أو بغير حق**- عند عامَّة الناس؛ فإنَّ ذلك يُورث الشَّك فيهم، وإذا أوْرَثَ الشك فيهم رجع ذلك إلىٰ عدم الثِّقة بأقوالهم، وعدم الثّقة ببيانهم للقرآن والسُّنَّة، وعدم الثّقة ببيانهم للفتاوىٰ المعاصرة، والنوازل التي تَجدّ في أحوال المؤمنين، **وإذا نُزعت الثِّقة تسلَّط الجُهّال، فأفتوا بغير علمٍ؛ فضَلُّوا وأضلوا.**

واسمعوا قول الله جَلَّوَعَلَا أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٥٧ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ٥٨﴾ [الأحزاب].

[الخطبة الثانية]

فإنَّ للغيبة أسبابٌ تبعث وتشجِّع الرجل والمرأة علىٰ الغِيبة، نذكر بعضًا منها وعلاجها:

* **أولها، أن يبعثه علىٰ الغِيبة التشفِّي من الغَيْظ.**

وعلاجه: أن يقول: إن أمضيتُ عليه بالغِيبة له، فأخاف من الله تعالىٰ أن يُمضي غضبَه عليَّ في الآخرة بسبب غِيبتي لذلك الشَّخص.

* **ثانيها: موافقة الأقران ومجاملة الرُّفقاء والإخوان ومساعدتهم علىٰ الغِيبة.**

وعلاجه: بأن تعلم أنَّ الله تعالىٰ يغضب عليك إذا طلبت سخطه في موافقة المخلوقين. ألم تسمع قول رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من التَمَسَ رِضَاءَ اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنِ التَمَسَ رِضَاءَ النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ وَكَلَهُ اللهُ إِلَىٰ النَّاسِ**». (١)

* **ثالثها: أن يُنسب إلىٰ شيء، فيريد أن يتبرأ منه،** فيَذْكر الذي فعله معه باسمه.

وعلاجه: بأن يعلم: أنّ التعرُّض لمَقْت الخالق أشد من التعرُّض لمقت المخلوقين.

* **رابعها:** طلب المراءاة والتصنُّع والمباهاة، وهو أن يرفع نفسه بتنقُّص غيره.

وعلاجه: أن تعلم أنَّك بما ذكرته أبطلت فضلك عند الله تعالىٰ، وأمَّا فضلك عند الناس فدائما علىٰ خطر.

* **خامسها: الحسد،** فيحسُد من يُثنِي الناسُ عليه، فيريد زوال ذلك عنه، فلا يجد إليه سبيلًا إلا بالقَدْح فيه بغِيبته.

وعلاجُه: بأن تعلم أنَّك قد جمعت بين عذابين؛ لأنك **حسدته** علىٰ نعمة الدنيا وكنت فيها معذَّبًا بالحَسد، **وغِيبتُك** تضرُّك وتنفعُه، إذ تنقل إليه حسناتِك، وتنقل إليك سيئاتِه.

* **سادسها:** الهزْلُ واللَّعب واللَّهو، فيكون ذلك سببًا باعثًا علىٰ الغِيبة.

* **سابعها:** يذكر غيره بما يُضحك الناس علىٰ سبيل الاستهزاء به واحتقارًا له.

ومن الأسباب الخفيَّة الباعثة علىٰ الغِيبة:

* **الرحمة،** وهو أن يُظهر الغمّ بسبب ما يُبتلىٰ به غيره، فيذكره باسمه فيصير مغتابًا.

* **الغضبُ لله تعالىٰ؛** فإن الإنسان قد يغضب من منكرٍ قارفه غيره بما رآه وسمعه عنه، فيُظهر

(١) جامع الترمذي (ح٢٤١٤) عن عائشة رضي الله عنها.

غضبَهُ لله تعالىٰ ويذكر اسمه فيكون مغتابا له.

واعلم أنَّ الغيبة معصية عظيمة وكبيرة من كبائر الذُّنوب، تتعلق بحقِّ الآدمي، وهي مَظلمةٌ تثبتُ له المطالبة بها في الآخرة؛ كسائر المظالم.

فالواجب علىٰ المغتاب أن يندم عليها، ويتوبَ منها ويتأسفَ علىٰ فعلها؛ فيخرج بذلك من حقِّ الله تعالىٰ، وينبغي أن يستغفر الله تعالىٰ، ويدعو بالخير لمن اغتابه، ويُضمر ألَّا يعود إلىٰ مثل ذلك.

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته.[1] ولا يفتقر إلىٰ الاستحلال من الآدميّ، وقال مجاهد: كفارة أكلك لحم أخيك، أن تُثني عليه وتدعو له بخير.

(١) مجموع الفتاوىٰ لابن تيمية (٢٩١/ ٣).

١٤- ذَمُّ النَّمِيمَة- أَسْبَابُها وَعِلاجُها

[الخطبة الأولىٰ]

قال الله تعالىٰ -وهو أصدق القائلين-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

وروىٰ أبو داود في «سننه» (ح٤٨٧٨) بإسناد حسن عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَمَّا عُرِجَ بِي**» إلىٰ السماء «**مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ، قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ**». وخَمْشُ الوجه: الجَرْح غيرُ الغائر.

قيل لعَمرو بن عُبيد: لقد وقع فيك فلانٌ حتىٰ رحِمناك، قال: إيَّاه فارحموا.

قال الله تعالىٰ وهو أصدق القائلين: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [القلم]، ﴿هَمَّازٍ﴾ معناها: مغتاب للناس بأكل لحومهم، ﴿مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾ معناها يمشي بحديث الناس بعضهم إلىٰ بعض علىٰ وجه الإفساد.

وعن قتادة رَحِمَهُ اللهُ قال: ﴿هَمَّازٍ﴾ يأكل لحوم الناس، ﴿مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ ينقل الأحاديث من بعض الناس إلىٰ بعض. فالنميمة كبيرة من كبائر الذنوب.

وحقيقة النَّميمة هي نقل كلام الناس بعضهم إلىٰ بعض علىٰ جهة الإفساد بينهم، سواء بالكلام مشافهة أو بإرساله بالوسائل الحديثة، ومن أشنعها في عصرنا نقل التسجيلات الصوتية الخفيّة أو تصوير المحادثات الشَّخصية وإرسالها للمعني من أجل الإفساد.

فالنميمة من الصِّفات المذمومة المرذولة في الشرع، وفيها أيضا حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال:

مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**» **ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً، فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ، فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟** قَالَ: «**لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**» هذا حديث متفق علىٰ صحته من حديث الإمامين البخاري ومسلم أخرجاه في «صحيحيهما». [1] وحذرنا عليه السلام فيه من النميمة، وأخبر أن الذي كان يمشي بالنميمة بين الناس يُعذَّب في قبره.

وفي «الصحيحين» عَنْ هَمَّامِ بن الحارث، قَالَ: كُنَّا مَعَ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ رَجُلًا يَرْفَعُ الحَدِيثَ إِلَىٰ عُثْمَانَ، فَقَالَ لَهُ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ**».[2] وفي رواية في الصحيح : «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ**».[3] فإن لم يدخل الجنة فالنار أولىٰ به.

والقتّات هو الذي ينُمّ الحديث وينقله بين الناس، فالنميمة حرام، وهي الأخت الكبرىٰ للغيبة، وهما من كبائر الذنوب.

ومن علامات النَّمّام أنه ذو وجهين، وقد حذر منه النبيُّ ﷺ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**تَجِدُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ عِنْدَ اللهِ ذَا الوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ، وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ**». [4]

فالنميمة شر وخبث ونفاق؛ والنَّمّام ذو وجهين؛ يقابل هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه، يتلوّن حسب المواقف والمصالح الدنيئة الحقيرة، فتراه يُثني علىٰ الواحد في وجهه، ويَذمّهُ عند الآخر.

والرَّسول ﷺ ذمّ النميمة بأعلىٰ أشكال الذم فقال كما في صحيح مسلم (٢٦٠٦): عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَالَ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ**».

واسمعوا قول الله جلَّ وعلا أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٥٨﴾ [الأحزاب].

---

(١) البخاري (ح٢١٨)، مسلم (ح٢٩٢).

(٢) البخاري (ح٦٠٥٦)، مسلم (ح١٠٥).

(٣) مسلم (ح١٠٥).

(٤) البخاري (ح ٦٠٥٨)، ومسلم (ح٢٥٢٦).

[الخطبة الثانية]

فاعلموا رحمكم الله أنَّ النَّميمة معصية عظيمة وكبيرة من كبائر الذُّنوب، تتعلق بحقِّ الآدمي، وهي مَظلمةٌ تثبتُ له المطالبة بها في الآخرة؛ كسائر المظالم.

والنميمة من أسباب فساد وتفكُّك المجتمع فعَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، قَالَ: «مَنْ نَقَلَ إِلَيْكَ حَدِيثًا فَاعْلَمْ أَنَّهُ يَنْقُلُ إِلَىٰ غَيْرِكَ حَدِيثَكَ».(١)

فالواجب علىٰ من حدَّثه نمَّام:

أولا: ألَّا يصدقه؛ لأن النمام مردود الشهادة، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾ [**الحجرات**].

ثانيا: ألَّا تظن بأخيك الغائب الظن السوءَ فإن إساءة الظن بالمسلم حرام، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾.

ثالثا: ما لا ترضىٰ من هذا النّمّام فلا تفعله أنت، وهو ألا تخبر أحدًا بما أتاك به هذا النمام.

فالنَّمام كذَّاب أشِر؛ لا يستحق أن يُسمع لقوله، ولا أن يُلتفتَ إلىٰ كلامه، ولا أن يُؤخذ بنصيحته. فاسمعوا بما وصفه الله تعالىٰ؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ۝١١ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣﴾ صفاتٌ متواليات، ونعوتٌ متتابعات، كلُّ خصلة أشد من الأخرىٰ قبْحًا وفحشا.

والنميمة سبب في وقوع النزاعات، وانتشار العداوات؛ فإذا وقعت النّميمة بين الأسر تقطَّعت بسببها الأرْحام... وإذا وقعت بين الجيران والأصحاب انقلبت الصداقة إلىٰ عداوة، والمحبة إلىٰ بغضاء... فإذا حلّت النميمة في منزل دمّرته، أو في مؤسسة أفسدتها، أو في مجتمعٍ أهلكته...

يقول حمَّاد بن سلمة رحمه الله: باع رجل عبدًا، وقال للمشتري: ما فيه عيبٌ إلا النميمة. قال: رضيتُ، فاشتراه، فمكث الغلام أيامًا ثم قال لزوجة مولاه: إن سيدي لا يحبُّك، وهو يريد أن

---

(١) «تنبيه الغافلين» للسمرقندي (ص١٧٣).

يتزوج عليك، فخذي الموسىٰ واحلقي من شعر قفاه عند نومه شعرات حتىٰ أسْحَرَه فيُحبّك. ثم قال للزوج: إنَّ امرأتك اتخذت خليلاً وترىٰ أن تقتلك، فتناوَمْ لها حتىٰ تعرف ذلك، فتناوَمَ لها فجاءت المرأة بالموسىٰ فظنَّ أنها تريد قتله، فقتلها، فجاء أهل المرأة فقتلوا الزَّوج، وتصوروا أنتم الباقي.

فالواجب علىٰ النَّمام أن يندم عن خسيسة النميمة، ويتوبَ منها ويتأسَّفَ علىٰ فعلها؛ وينبغي أن يستغفر الله تعالىٰ، ويُصلِح ما يستطيع، ويُضمر ألَّا يعود إلىٰ مثل ذلك.

١٥- ذَمُّ شَهَادَةِ الزُّورِ

[الخطبة الأولىٰ]

يقول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾﴾ [الفرقان]، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾ [الحج].

وفي «الصحيحين»[١] عن أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَقَالَ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟**» ثَلَاثًا «**الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ – أَوْ: قَوْلُ الزُّورِ –**» وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مُتَّكِئًا، فَجَلَسَ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّىٰ قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ. ففي الحديث بين النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن قول الزور أو شهادة الزور كبيرة من كبائر الذنوب.

وفي «صحيح البخاري» (ح١٩٠٣)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**»، ففي هذا الحديث الحث علىٰ معرفة ما هو قول الزور لنجتنبه خاصة وأنه يذهب أجر الصِّيام.

فالزور هو الباطل، فشهادة الزور هي شهادةٌ بباطل. فالزور هو الباطل كيفما تصرَّف، فالكذب من الباطل فهو زور، والشهادة الكاذبة من الباطل فهي شهادة زور، والتُّهمة الملفقة من الباطل فهي زور، فكلُّ قولٍ باطل زور.

والذي ينبغي أن يُدرك في هذه المسألة أن شهادة الزور تتعلق بثلاثة أشخاص:

أولهم: طالبها.

وثانيهم: باذلها.

وثالثهم: ممضيها وقابلها إذا علِم بها.

(١) البخاري (ح٢٦٥٤)، ومسلم (ح٨٧).

والوعيد يتناول الثلاثة جميعا؛ لكنه يتأكد في حقِّ شاهد الزور.

روىٰ البيهقي أن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كتب إلىٰ عُمَّاله في شاهد الزور أنْ يُضربَ أربعينَ سَوطًا، وأن يُسخَّم وجهه -يعني يسود وجهه- ويُحلق رأسه، ويُطاف به، ويُطال حبسه.

وعن الأئمة الأربعة أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد أنهم مجمعون علىٰ عقوبة شاهد الزور؛ إلا أنهم مختلفون في كيفيتها:

فمذهب أبي حنيفة أنه لا تعزير عليه؛ لكن عقوبته أن يوقف في قومه ويقال لهم: إنه شاهد زور.

ومذهب مالك والشافعي وأحمد أن يعزّر ويوقف في قومه ويعرَّفون أنه شاهد زور.

فقد عرفنا مما تقدم ما لشاهد الزور من الوعيد الشديد والعقاب الأكيد في الدنيا وفي الآخرة ولعذاب الآخرة أشد وأبقىٰ.

وليس هذا فقط؛ بل لشهادة الزور من الأضرار في نفس شاهدها وفي المجتمع الذي يعيش فيه؛ وهي أضرار معقولة يُدركها كلُّ مَنْ تأمَّلها وأمعَن في حال من يقترف تلك الجريمة الفظيعة؛ وهي شهادة الزور.

أولا: **أنَّه يتَّصف بالكذب ويوسم بالافتراء**، وكفىٰ بهما خزيًا ونكالًا.

الثاني: **أنَّه يجد من ضميره موبِّخًا ومقرعا له علىٰ فساد عمله**، ومؤنِّبًا شديدًا يقرِّعه علىٰ ما أجرم واقترف.

ومن الأسرار العجيبة التي أودعها الله في كل إنسان أنه يجد هذا الوازع في نفسه كلَّما أقدم علىٰ أمرٍ فاسد، ينبِّهه إلىٰ خطئه ويعرِّفه سُوء مُنقلبه.

ومن الناس من يصغي إلىٰ نداء ضميره فيعدل عن قصد الفساد والإضرار بالناس بعد أن يهمَّ بذلك. فإنَّ الوازع النفسي ربما يردُّ شاهد الزور إلىٰ الرُّشد.

وأما من طغىٰ وبغىٰ ورَانَ علىٰ قلبه الشرُّ وفسد مزاجُه، فإذا لم تتداركه العناية الإلهية كان من الفاسدين والخاسرين والعياذ بالله.

الضرر الثالث: **أنَّ شاهد الزور يُحسّ بخِذلانه بين قومه وذويه ويفقد الثقة منهم**، وكفىٰ بذلك خُسرانًا مبينًا؛ لأن الثقة بين الناس عليها مدار الحياة.

الرابع: أنَّه يكون في نفسه مَهينًا محتقرًا وفي أعينُ الناس أشدُّ إهانة واحتقارًا؛ وهذا أمر محسوس ومعروف حتىٰ أن أشد الناس احتقارًا لشاهد الزور من شهد لأجله. قال ابن حزم: أول من يزهد في الغادر من غَدر له الغادر، وأول من يمقت شاهد الزور من شَهد له.

الضرر الخامس: أنَّ شاهد **الزور يكون جُرثومة من جراثيم الفساد في جسم الأمَّة** ينخُر عظمَها ويمتصُّ دمَها، فيضعُفُ شأنُها بوجود أمثاله من شاهدي الزور.

الضرر السادس: إذا فَشَت شهادة الزور بين الناس تسبب ذلك في ضعف ثقتهم ببعضهم البعض، وذهبت عاطفة الاطمئنان من نفوسهم، فتفتر عزائمهم عن الأعمال الخيرية والمشاريع المفيدة النافعة والتكافل الإجتماعي، ويستولي عليهم اليأس والقنوط فلا يلوي أحد علىٰ أحد، ولا يتألم لما يصيبه ولا يمدُّ يده لمساعدته، وهذا هو البلاءُ العظيم والخطب الجسيم.

وإذا فَشَا الكذب والافتراء في الأمَّة تفكّكتْ منها عُرىٰ الوحدة وتقطعت روابط الاتحاد، وهيهات أن يُرجىٰ لها نجاح أبدًا.

واسمعوا قول الله تعالىٰ: أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ﴾.

[الخطبة الثانية]

قد يُخيَّل للإنسان أنَّ شاهد الزور إنما هو الذي يقف أمام المحكمة، ويقول في قضية ما غير الحق سلبًا أو إيجابًا.

تُرىٰ هل انحصرت هذه الرذيلة في مثل هذا؟ اللَّهم لا، ولكن الخطب أعمُّ والمصيبة أجَلُّ لسريان هذه العلةِ القتَّالة إلىٰ مجموع الأمة؛ **بل يدخل في شهادة الزور كل من يرفع مقصِّرًا في حق الأمة، إما بالثناء عليه ومدحه بما ليس فيه، أو بتغرير المسؤولين بأنه يصلح لهذا المحل مع عدم صلاحيّته وعلمه بذلك**، أو بضد ذلك بأن يتسلّط علىٰ الرجلِ المناسب في المكان المناسب فيتعدَّىٰ عليه بالكذب والزّور والتلفيق ليصرِفه عن ذلك المكان. قال الله تعالىٰ في سورة النحل: ﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٠٥﴾.

١٦- آفَةُ التَّدْخِينِ- حُكْمُهَا وَأضْرَارُهَا

[الخطبة الأولىٰ]

إنَّ الشَّريعة الإسلامية حثَّت علىٰ حفظ المقاصد الخمس الكُبْرىٰ؛ حفظِ الدِّين، والنَّفس، والعقل، والعِرض، والمال، فقد جاءت هـٰذه الشريعةُ في جميع أحكامها حارسةً محقِّقةً لهذه المقاصد الخمس.

وحِفظ النَّفس يكون بالبُعد عن كل ما يُتلفها، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩﴾ [النساء]، ويقول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ**». [1]

ومن هذه الأضرار **التَّدخين**، والتدخين يضربُ أطنابَه في رُبُوع مجتمعنا بلا هوادة، صغارًا وكبارًا، نساء ورجالا، وتحول الإسرار فيه إلىٰ علانية، لم يعدْ مستغربًا أن يمارسه طالب المرحلة المتوسطة، فضلًا عمن فوقه، فإلىٰ متىٰ نُصِرُّ علىٰ المعصية؛ وهي التدخين، ونرضىٰ بإزهاق أنفسنا، وإحراق زهرة شبابنا بأيدينا؟!

والتدخين من الأمور الضارة التي لا يشكُّ المسلم في دخولها في عموم ما حرَّمه الشَّارع من الضَّرر:

* قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩﴾ [النساء]،

والمدخِّن قاتلٌ لنفسه، فالتدخين يفرز أمراضا خطيرة مستعصية كثيرٌ منها يؤدِّي إلىٰ الهلاك ويتعذَّرُ ويستحيل علاجُه.

* وقال الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف:١٥٧]، وإذا نظرنا إلىٰ التَّدخين وجدناه خبيثًا ضارًّا منتن الرائحة، عواقبه سيئة

---

(١) سنن ابن ماجه (ح٢٣٤٠) عن عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ونتائجه خطيرة.

* وقال الله تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة:٤]، فالطيِّبات من المأكول والمشروب حلالٌ لنا، والضَّار من كل مأكول ومشروبٍ حرام علينا؛ حمايةً لصحّتنا ووقايةً لها.

* في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في البخاريِّ ومسلم قال: «مَن تحسَّىٰ سُمًّا فقتلَ نفسَه، فسمُّه في يده يتحسَّاه في نار جهنم خالدًا مخلَّدًا فيها أبدًا»،[1] والدُّخان يحوي علىٰ مادة النيكوتين وهي سمٌّ دون خلاف.

* وقال الله تعالىٰ: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف]، فنهانا تعالىٰ عن الإسراف في المُباحات، فكيف بإنفاق المال في التدخين!! وهو خبيثٌ من الخبائث؛ بل هو من التبذير الداخل في عموم قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء]، لما فيه من إضاعة للمال.

* وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب]، فإيذاء المؤمنين والمؤمنات كبيرة من الكبائر ونبيُّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**من آذىٰ مسلمًا فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذىٰ الله**»؛[2] ففي الدخان أذية لخلق الله؛ أذية للأولاد والزوجة وغيرهم في البيوت، وفي الأماكن العامة من الحوانيت والحافلات وسيارات الأجرة، وأماكن العمل، كالجامعات والمدارس وغيرهما من المؤسسات.

* واعْلَمُوا أَنَّ مَنْ حَامَ حَوْلَ الْحِمَىٰ يُوشِكُ أَنْ يقع فيها؛ فَإِنَّ التَّدْخِينَ بَرِيدُ الْمُخَدِّرَاتِ وَهُوَ أَوَّلُ طَرِيقِه خاصَّة للشباب، وهل يتعاطىٰ المخدرات إلا مدخِّن!!

أخي المسلم، إنَّ لهذا التدخين أضرارا صحيّة، ودينيّة، واقتصادية، واجتماعية..

فإذا نظرت إلىٰ الجانب الصحي فالتقارير الطبية تدل علىٰ أن الموت بأسباب آثار التدخين

---

(١) البخاري (ح٥٧٧٨)، مسلم (ح١٠٩).

(٢) المعجم الأوسط (ح٣٦٠٧).

أعظم من الموت بكثير من الأوبئة مجتمعة مع بعضها، فإن هذا الدَّاء يَهلك بسببه ملايين البشر في كل عام.

وإذا نظرت إلىٰ الجانب الدِّيني فالصوم مثلا ثقيلٌ علىٰ متعاطي التدخين، ألا ترىٰ بعضهم في شهر رمضان قبل غروب الشَّمس يتغيَّر مزاجه ويشتد غضبه، ويقلُّ تحمله، وربما سبَّ ولعن وشتم؛ بل ضرب وقاتل.

وإذا نظرت إلىٰ الجانب الاقتصادي لاسيما قليل الدَّخل فإن هذا التدخين يقتطع من مرتَّبه الشيء الكثير، ثم أيضًا بعد تعاطيه تحدث له أمراضٌ من هذا الداء لابد لها من علاج ومراجعةٍ الأطباء فينفق أموالًا كثيرة في مكافحة هذه الأمراض الناتجة من تعاطي التَّدخين.

وإذا نظرت إلىٰ الجانب الاجتماعي فأضرار تدخين الإنسان علىٰ نفسه بنتن فمه، وتعفين الجو المحيط به، فيعاني المقربُّون منه والمجالسون له من رائحته، وربما يهابون مصارحته بذلك.

وبهذا يظهر أنَّ التَّدخين حرامٌ بلا شك لمن تأمَّل وتدبَّر وتعقَّل.

وإنَّ نبيَّنا صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبرنا بقوله: «**إِنَّ اللهَ إِذَا حَرَّمَ شَيْئا حَرَّمَ ثَمَنَهُ**»،[١] والتَّدخين حرامٌ، إذن فحرام بيعه وحرام شراؤه، وحرام ترويجه، وحرامٌ العمل في المؤسسة التي تروِّج هذا الدَّاء الخبيث؛ لأن المسلم لا يُعين علىٰ الإثم والعدوان؛ والله يقول: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ ﴾[المائدة:٢]؛ ولأن بائع الدُّخان أضرَّ بالآخرين واكتسب من وراء ذلك الضرر مكاسب خبيثة لا خير فيها، فالأموال الحاصلة من بيع الدُّخان بكل أنواعه من المكاسب الخبيثة ومن المال الحرام، فمن يحرص علىٰ تربية أبنائه التربية الصَّالحة فليحرص علىٰ ألا يُدخل بطونهم إلا من المال الحلال، ولا يُلبسهم إلا من المال الحلال، وليتخلَّص من المال الحرام، وهذه هي حقيقة التَّقوىٰ ورأس مالها.

واسمَعُوا قولَ الله عَزَّوَجَلَّ أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ

(١) صحيح ابن حبان (ح٤٩٣٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ [الأعراف].

[الخطبة الثانية]

من ابتلاه ربُّه بآفة التَّدخين فهاهو رمضان فرصة ثمينة للإقلاع عن التدخين..

وعلىٰ المدخِّن أن يُقلع عن التدخين لله تعالىٰ، مخلصًا لله، مجاهدًا لنفسه في ذلك، فالأمر يحتاج إلىٰ جهاد.. حدثتني عجوز رَحِمَهَاٱللَّهُ تعالىٰ كانت تدخن ذهبت إلىٰ حانوت لتشتري الدخان (الشَّمّة) فقال لها البائع: أنا لا أبيع الدخان، وأردف ناصحا؛ فلم لا تتوقفين عن الدخان؟ فقالت: لا أستطيع، فقال لها: جاهديه، فوقعت هذه الكلمةُ من نفسها موقعًا، فجاهدته وأقلعت عن التدخين حتىٰ توفَّاها الله، رَحِمَهَاٱللَّهُ تعالىٰ.. فأين أنت أيها الشاب المدخِّن من هذه العجوز...

يقول ابن القيّم رَحِمَهُٱللَّهُ تعالىٰ: "إنما تكون المشقة في ترك المألوفات والعوائد ممن تركها لغير الله، أما مَنْ تركها مخلصًا في قلبه لله، فإنه لا يجد في تركها مشقةً إلا في أول وهلة؛ ليُمتحن: أصادق هو في ترْكها، أم كاذب؟ فإن صبر علىٰ ترك المشقة قليلًا استحالت لذة. انتهىٰ

فإن غلبتك نفسُك فإياك والمجاهرةَ؛ فإنها طريق لنَزْع الحياء، وباب للانفتاح في كلِّ معصية.

فيا أيها المدخن؛ إنك بتدخينك تعصي الله تعالىٰ، فإن لم تُقلع عن التَّدخين فاستتر، سترك الله، وتاب عليك، ووفَّقك للتوبة، لقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًىٰ إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ».

أخي المسلم؛ إنَّ التقليل من هذه الآفة مسؤولية الجميع، كلٌّ علىٰ قدر استطاعته وعلىٰ قدر مسؤوليته:

فالأب مسؤول علىٰ عائلته، من زوجه وأبنائه..

والمعلم يجب أن يرشد أبناءنا في كل مراحل التعليم لأضرار هذا التدخين ومفاسده ومساوئه والأخذ علىٰ أيديهم وإرشادهم.

وخطيب المسجد يخطب بين الفينة والأخرىٰ فيبيِّن حُرمته والأدلة علىٰ تحريمه، والتحذير منه، فلعل الله أن يفتح قلبًا لذلك.

والطبيب المسلم يكشف حقائق هذا البلاء ويوضِّحه للناس، ويحرص ألا يدخن هو.

ووسائل إعلامنا ووسائل الإعلام الإسلامية يجب أن تقوم بدورها في كشف أسرار هذا الداء والتحذير منه، فعسىٰ اللهُ أن يأتي بالخير.

١٧- آفَةُ المُخَدِّرَاتِ وَالمَهْلوِسَاتِ وَالْخُمُورِ عَلَى الفَرْدِ وَالمُجْتَمَعِ.

[الخطبة الأولىٰ]

إنَّ الشريعة الإسلامية حثَّت علىٰ حفظ المقاصد الخمس الكبرىٰ؛ حفظِ الدِّين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ العِرض، وحفظ المال، فقد جاءت هـٰذه الشريعةُ في جميع أحكامها، وفي كلِّ تفاصيلها، وفي أصولها وفروعها حارسةً محقِّقةً لهذه المقاصد الخمس.

فحفظُ الدِّين يكون بالمحافظة علىٰ ما يُقيم أركانَه ويثبِّت قواعده، فجاء هذا الدِّين يحثُّ علىٰ التديُّن وينهىٰ عمَّا يضاده من ألوان الكُفر والشرك؛ فقال تعالىٰ: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يونس:١٠٥]، وقال عزَّ من قائل: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء:٣٦].

وحِفظ النَّفس، يكون بالبُعد عن كل ما يُتلفها، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝٢٩﴾ [النساء]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام:١٥١]، وبيَّن تعالىٰ أنَّ من قتل نفسًا بغير حقّ فكأنَه قتل جميعَ النّاس؛ لِما في ذلك من الاعتداء علىٰ كرامة الإنسان معصوم الدَّم، فقال تعالىٰ: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ﴾ [المائدة].

ومن حِفْظ النفس عدم تناول المطعومات المحرَّمة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ﴾ [النحل:١١٥].

ومن حِفظ النَّفس عدمُ الاسراف في الطَّعام؛ قال تعالىٰ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ۝٣١﴾ [الأعراف].

أمَّا حِفظُ العقل فقد جاء كتابُ الله حافلًا بصِيانة العقل الإنساني، وحياطتُه من كل ما يُذهب فكره، ويُعطِّل مكانته، فنَهىٰ عن تناول كلِّ ما يُذهب العقل أو يغيِّبه؛ كالمخدرات والمهلوسات لما لها من تأثير بالغٍ علىٰ ذلك؛ فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠﴾ [المائدة].

قد يقول قائل: المخدرات غير الخمر؛ نعم؛ لكنها أسوأُ وأشر، ولذلك أجمع علماء الأمَّة لا خلاف بينهم علىٰ تحريم المخدِّرات، وأنَّها أشدُّ حرمة وأعظم فسادًا للفرد والمجتمع من تلك المُسْكِرات التي جاءت فيها نُصوص؛ فقد روىٰ ابن ماجه في «سننه»(ح٣٣٧١) بسند صحيح عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فقال: «**لَا تَشْرَبِ الْخَمْرَ، فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ**»، وجاء في «جامع الترمذي»(ح١٢٩٥) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قَالَ: «**لَعَنَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ **فِي الخَمْرِ عَشَرَةً: عَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَشَارِبَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالمَحْمُولَةُ إِلَيْهِ، وَسَاقِيَهَا، وَبَائِعَهَا، وَآكِلَ ثَمَنِهَا، وَالمُشْتَرِي لَهَا، وَالمُشْتَرَاةُ لَهُ**».

هـٰذا اللَّعن الذي يشمل كلَّ من أعان علىٰ الخمر ولو بإعانةٍ بعيدة تستحقُّه المخدِّرات، فالمخدِّرات والمهلوسات أعظم شرًّا وأكبر فتكًا في الأفراد والمجتمعات من الخمر التي جاء فيها هـٰذا التغليظ، ومن أعان علىٰ انتشار ورواج المخدِّرات ولو بإعانة بعيدة يشمله اللعن، فالسُّكوت علىٰ رواجها أيضا إعانة.

ويكفي في بيان عظم جُرم الخمر ومِن ورائها المخدرات ما جاء في «سُنن النسائي» (ح٥٦٥٩) بسند صحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ شَارِبُهَا حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**»، هكذا نفىٰ النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ الإيمان عَن شارِب الخمر فكيف بالمخدِّر الذي هو أعظم ضَررا.

إنَّ سيِّئة الخمر عظيمة، ومن ورائها المخدرات والمهلوسات، وذلك لكبير أثرها وعظيم شُؤمها علىٰ الفرد والمجتمع، روىٰ ابن ماجه (ح٣٣٧٧) بسند صحيح عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا، وَإِنْ مَاتَ دَخَلَ النَّارَ، فَإِنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ**» معنىٰ هـٰذا الحديث أنَّ سيئة شُرب الخمر في الميزان تمثِّل صلاة أربعين يومًا،

أتظنُّون أنَّ أمر الصلاة سهل؟ طبعا لا، إن شأنها كبير، فقد جاء في «الصَّحيحين»[١] أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ فَاتَتْهُ الْعَصْرُ**» يعني صلاة العصر، «**فَكَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ**»؛ أي: فقَدَ أهله وماله، وجاء في «البخاري»[٢] أن النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ العَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ**».

هذا في صلاة واحدة وهي صلاة العصر فما بالُك في صلاة أربعين يومًا.

واسمَعُوا قول الله عَزَّوَجَلَّ أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم].

[الخطبة الثانية]

سأل طارقُ بن سويد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الخمر فَنَهَاهُ عَنْها، فَقَالَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إِنَّا نَتَدَاوَىٰ بِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّهَا لَيْسَتْ بِدَوَاءٍ وَلَكِنَّهَا دَاءٌ**».[٣]

وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وصف الخمر (**لكنها داء**) لا يُقصد به فقط أنها داءٌ للأبدان وبلاء لأجسام؛ بل إنها داء بكل ما تحمله الكلمة من معنىٰ، فلا يقتصر شؤمُ آفة الخمر ومن ورائها المخدِّرات علىٰ هـٰذه الأضرار فحسب؛ بل إنّ أضرارها تتجاوز هـٰذه الحدود؛ تتجاوز إلىٰ أضرار بشرية وراثية؛ بل وراء ذلك إلىٰ أضرار اجتماعية تفتِك بالمجتمع فيتصدّع بنيانُه وتنهار قواه، فالمخدِّرات من أعظم أمراض التفكُّك الأسري في المجتمع؛ والمخدِّرات أعظم أسباب انتشار الجريمة في بلدان العالم؛ هـٰذا فضلًا عن الأضرار الاقتصادية، وتبديد الأموال.

أيّها المؤمنون؛ «**إِنَّهَا لَيْسَتْ بِدَوَاءٍ وَلَكِنَّهَا دَاءٌ**»، ولهذا يجب أن نتكافل في محاربة المخدِّرات، وإذا سمعنا عن أحوال المجرمين الذين يسعون إلىٰ إشاعتها في المجتمع أصابنا نوعٌ من الخوف علىٰ أبنائنا وعلىٰ أسرنا، فهي تهدِّد الصغار والكبار. وليس الأمر -يا إخواني- مقصورًا علىٰ

---

(١) البخاري (ح٥٥٢)، ومسلم (ح٦٢٦).

(٢) البخاري (ح٥٥٣) ن بريدة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) جامع الترمذي (ح٢٠٤٦) وغيره، وهو في صحيح مسلم (ح١٩٨٤).

الذُّكور يمكن أن يكون هـٰذا في الإناث أيضا.

ولهذا يجب علينا أن نخاف علىٰ أنفسنا وعلىٰ إخواننا وعلىٰ أبنائنا وبناتنا، لا سيما وأننا نسمع أنه في المدارس وفي الكليات والجامعات تُروَّج المخدرات، يسعىٰ أقوام لإشاعتها بين أبنائنا بحُجّة أنها منشطات علىٰ الدراسة وتُعين علىٰ المراجعة وتجلب التركيز، حتىٰ ينتهي بهم الأمر إلىٰ الإدمان..

فالمسؤولية مسؤوليتنا جميعًا، وواجبنا جميعا، صغارًا وكبارا، فالواجب علينا أن نتكاتف وأن نشعر بالخطر، وأنَّه لا يتهدد فقط أولئك الذين في السُّجون؛ بل يتهدد جميع طبقات المجتمع، ولهذا لابد من الحزم والتنبُّه والشُّعور بالمسؤولية، والإنسانُ يبدأ بنفسه وبمن تحت ولايته من زوجه وأبنائه، ويبذُل جهده وطاقته فيمن حوله، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [التوبة:٧١].

اللَّهُمَّ احفظ أهل الإسلام من هـٰذه الآفة يا ذا الجلال والإكرام.

اللَّهُمَّ قِهِم شرَّ الخمور والمخدرات، اللَّهُمَّ قِهم شر الخمور والمخدِّرات.

اللَّهُمَّ من تورَّط في شيء من هـٰذا فأعنه علىٰ الخروج، ويسِّر له التوبة، اللَّهُمَّ يسر له التوبة، اللَّهُمَّ يسر له التوبة.

اللَّهُمَّ من روَّج هـٰذا البلاء بين المؤمنين فعليك به إنَّه لا يعجزك.

اللَّهُمَّ افضحهم واكشف عوارهم وأوضعهم في شرِّ أعمالهم، واجعل كيدهم في نحورهم يا حكيمُ يا عليم، يا من بيده الأمر وإليه ترجع كل الأمور.

المُحْتَوَيَاتِ

للمراسلة حول تصحيح الأخطاء المطبعية
Sunnah.College1@gmail.com